تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

بيوت تئن

من المشاكل والخلافات

الأسباب والعلاج

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

بيوت تئن

من المشاكل والخلافات

الأسباب والعلاج

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

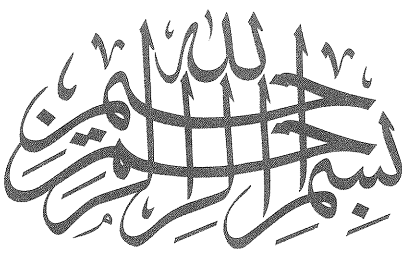

المقدمة

الحمد لله الذي أَمَرَ بالتآلفِ والاجتماع، ونهى عن التَّنافر والافتراق، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، خلق عباده وأعلمهم أسباب فلاحِهم، وأخبرهم أنَّ القوة والتوفيق في اجْتِمَاعِهم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي جمع الله بِمَبْعَثِه القلوب على المحبة، وألَّف برسالته الْمتخاصمين فأصبحوا إخوة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ من أجلِّ النِّعم التي أنْعم الله تعالى بها علينا، أنْ جعلنا أمَّةً متراحمةً مُتآلفةً، بعد أنْ كانت مُتفرِّقةً مُتناحرة، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

إنَّ الأُلفةَ وصفاءَ النُّفوس مِنْ أهمّ مُقوِّماتِ الحياةِ السعيدة، ومِنْ آكد ما يحتاجه كلُّ فردٍ وأُسْرةٍ.

وإنَّ الناظر بعينِ البصيرةِ، والراصدَ بعين الواقعِ والحقيقة يرى ـ وللأسف الشديد ـ كثيرًا من البُيوت والأُسَرِ مملوءَةً بخلافاتٍ وسوءِ تفاهم، وقد وصل الأمر ببعضها إلى التَّباغُضِ والتناحر، والتقاطعِ والتَّهاجُر.

وقد قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ**

الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». رواه مسلم[١].

فأيُّ تحريشٍ وعداوةٍ أشدُّ من عداوةٍ بين أفراد الأسرة الواحدة؟، إنه لأمر يندى له الجبين، أن يحدث هذا في أُسَر المسلمين.

إنَّ الأُسْرةَ هي الحاضنة لأفرادها، وهي الحصنُ المنيعُ - بعد الله تعالى - مِن انْحِرافهم، وهي المكان الآمن لهم من الضياع والتفرق، فإذا لم يَجِدِ الفردُ فيها الأمانَ والثقةَ والراحةَ فأين يجدها؟.

فليس هناك ما يُغني عنها أبدًا.

ولا يخفى على أحدٍ منَّا مدى تأثيرِ الخلافاتِ الشخصية على العلاقات بين الناس، بل بين القبائلِ وحتى على مستوى الدولِ فيما بينها، لأسبابٍ قد تصل لدرجة القطيعة والعداوة، بسبب عدمِ الإنصافِ من النفسِ، وتمسكِ كلِّ طرفٍ برأيه وقناعَتِه بأنه هو المظلوم والْمُعتَدى عليه، وأنه لم يصدر منه أيُّ خطأ في حق غيره، مما يجعل الصلح وحل الخلاف أمرًا صعبًا مُعقَّدًا.

ومن المعلوم أنَّ الخلاف بمجرده لا يخلو منه بيتٌ أبدًا، فهذا بيت الْمُصطفى ﷺ - وهو أطهر وأفضل وأسْعدُ بيتٍ على وجه الأرض - حَصَلَ فيه من الخلافِ ورفعِ الصوتِ الشيءَ الكثير.

ومقصودي من هذا البحثِ هو التأكيدُ على حلِّ الخلافات والمشاكل التي تُؤثر على تماسك الأُسرة، وتُشتِّتُ شملها، وتُقْلقُ أفرادها.

وتختلف أسباب الخلافات لكل مشكلة، فهناك خلافاتٌ أسبابها

---

(١) (٢٨١٢).

قويةٌ لا تُحتمل، وهناك خلافاتٌ أسبابُها تافهة، نجعل منها قضايا كبيرة، تقودنا إلى طريق المشاحنات والسباب، حتى تصلَ بنا في النهايةِ إلى هاوية القطيعة، والعجبُ أنَّ غالب مشاكلنا من هذا النوع.

وسأتكلم عن كلّ سببٍ على حِدَة، ثم أُتبعه بالعلاج بإذن الله تعالى بحسبِ فَهْمي، فإنْ كان ما أَذْكُرُه صوابًا فمن الله، وإنْ كان غيرَ ذلك فمن نفسي والشيطان.

ولا يخفى أنَّ بعضَ البيوت قد جثمتْ عليها هذه المشاكل، وأفسدتْ جمالَها الخلافاتُ والقلاقل، ولكنَّ بعضَها قليلةٌ لا تُذكر، وبعضَها كثيرةٌ فتُخبَر.

وإني لا أكاد ألْتفِتُ يمنةً ويسرةً إلا وأرى وأَلْمَسُ هذه المشاكل في بيوتِ الكثير من الناس.

ولقد وصل الأمر ببعض الأُسر إلى اسْتدعاء الأب للشرطة لأجل أحد أبنائه، ليس لأنه مُدمن مُخدرات، ولا لأنَّه هدَّد بالقتل، ولكنْ لما وصلوا إليه من شدَّةِ الخلافات، وتصعيدِ المشاكلِ وتعقيدِها.

وبعضُها قد وصل الأمر إلى الضرب بين أفراد الأسرة، وبعضُها إلى أعظمَ وأشنع كما نسمع كثيرًا في الصُّحف وغيرها ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

فالأمر إذًا خطيرٌ جدًّا، ويحتاجُ منَّا إلى وقفةٍ مُتأنِّيةٍ وجادَّةٍ لدراسةِ هذه الحالة الدخيلةِ على مُجتمعنا الإسلاميّ الأصيل.

فلما رأيتُ ذلك، استعنتُ بالله تعالى ثم عزمتُ على دراسة هذه الأسباب ووضعِ الحلول المناسبةِ لها ـ ولم تكن مُجرَّد جمعٍ ونُقولٍ ـ بل كتبتُ ما جاش في الخاطر، ودوَّنتُ الأسباب التي رأيتُها وخبرتُها، ثم

ألحقتُها بالعلاج الذي طُبِّق على أرض الواقع، وجُرِّب وعُرف نفعه وصوابه.

المؤلف
أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب جامع
عبد الله بن نوفل رَحِمَهُ اللَّهُ بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦

معنى الأسرة لغةً واصْطلاحًا

قبل الحديث عن الأسباب، لا بدّ من معرفة معنى الأسرة والرحم لغةً واصْطلاحًا:

قال ابن منظورٍ رحمه الله تعالى: «الأُسْرَةُ: الدِّرْعُ الْحَصِينَةُ..

وأُسْرَةُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُهُ ورهطُه الأَدْنَوْنَ لأنه يَتَقَوَّى بِهِمْ..

وقال: الأُسْرَةُ: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وأَهل بَيْتِهِ»(١).

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى: «الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَقِيَاسٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الْحَبْسُ، وَهُوَ الْإِمْسَاكُ. مِنْ ذَلِكَ الْأَسِيرُ، وَكَانُوا يَشُدُّونَهُ بِالْقِدِّ وَهُوَ الْإِسَارُ..

وَأُسْرَةُ الرَّجُلِ رَهْطُهُ؛ لِأَنَّهُ يَتَقَوَّى بِهِمْ»(٢).

واصْطلاحًا: «رابطةٌ اجْتماعية تتكون من زوج وزوجةٍ وأطفالهما، وتشملُ الجدود والأحفاد وبعضَ الأقارب، على أنْ يكونوا مُشتركين في معيشةٍ واحدة»(٣).

«وتسميةُ الأسرة أصحّ من العائلة؛ لأنها لم ترد بهذا المعنى في المعاجم»(٤).

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٠.

(٢) مقاييس اللغة، مادة: (أَسَرَ).

(٣) المشكلات الأسرية وعلاجها من خلال جُهود مكاتب الإصلاح بوزارة العدل، للدكتور: علي بن عبد الله البدر، ص٣٥ ـ ٣٦.

(٤) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، رقم: (٣٤٤٦).

وأصلُ كلمةِ العَائِلَةَ: العاقِلَة، وَهُمْ عُصْبَةُ الإِنْسَانِ وعَشيرتُهُ الأَقْرَبُونَ، وَتَسْميتُها بالْعَائِلَةَ «مِنْ تَحْرِيفِ الْعَامَّةِ»[١].

«وهنا تظهر العلاقةُ بين كلمةِ أُسرة في اللغة، ومعناها في الإصطلاح، حيث إنَّ من معاني كلمةِ الأسرة: الدرع الحصينة، وكأنَّ الأسرة يتحقَّقُ بها حمايةُ الإنسانِ ممَّا يُهدد كِيانه، فبالأسرة يتقوَّى الفرد، ويشتدُّ عودُه.

المعنى الثاني لكلمةِ أَسَر هو ما يشدّ به الأسير، فكأنه لُوحظ معنى الشدّ والربط والوثاق، حيث إنَّ في الأسرة ترابطًا اجْتماعيًّا، وتماسكًا إنْسانيًّا[٢]، لدرجةِ الثباتِ والقرار، كلُّ هذه المعاني العظيمة قصدَها الإسلامُ من تشريعِ الزواج، وتكوين الأسرة، وذلك لحمايةِ الْمُجتمعات والأفراد»[٣].

(١) تفسير المنار ٥/ ٢٩٠.

(٢) في الأصل: حيث إنَّ في الأسرة ترابط اجْتماعي، وتماسك إنْسانيّ!، وهو خطأ نحويٌّ، لعله سبق قلم.

(٣) المشكلات الأسرية وعلاجها من خلال جُهود مكاتب الإصلاح بوزارة العدل، للدكتور: علي بن عبد الله البدر، ص٣٨.

معنى الرحم لغةً واصطلاحًا، ومَنْ تجبُ صلتهم

لا شكّ أنَّ الحديث عن الأسرة يَقْتضي الحديث عن الأقارب والأرحام، ولذا لا بدّ من بيان معنى الرحم لغةً واصْطلاحًا، ومَن تجبُ صلتُهم.

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: «قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكر صِلَةِ الرَّحِم. وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِحْسان إِلَى الأَقْرَبِينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَب والأَصْهار[1]، والتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، والرِّفْقِ بِهِمْ، والرِّعايةِ لأَحْوالِهم. وَكَذَلِكَ إِنْ بَعُدُوا أَوْ أَسَاءوا. وَقَطْعُ الرَّحِم ضِد ذَلِكَ كُلِّه.

يُقال: وَصَلَ رَحِمَهُ يَصِلُهَا وَصْلًا وصِلَةً، وَالْهَاءُ فِيهَا عِوَض مِنَ الْوَاوِ المَحْذوفة، فَكَأَنَّهُ بالإِحْسان إِلَيْهِمْ قَدْ وَصَلَ مَا بَينه وبَينَهم مِنْ عَلاقة القَرابة والصِّهْر»[2].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: «الرحم: رحم المرأة، ومنه اسْتُعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة». ا.هـ[3].

والمراد بالرحم: أقرباء الرجل والمرأة من جهةِ الأب والأم.

وصلة الرحم **اصطلاحًا**: «الإحسان إلى الأقارب على حسب حال

---

(١) الصهر ليس من الأقارب، ولكنه قريب إلى الأقارب بالمصاهرة، فالإحسان إليهم من أجل المصاهرة فقط، ويكرم من جهة المصاهرة إكرامًا للقرابات.

(٢) النهاية في غريب الحديث، مادة: (وصل).

(٣) المفردات، ص١٩١.

الواصل والموصول: فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، وتارة بالسلام، وتارة بطلاقة الوجه، وتارة بالنصح، وتارة برد الظلم، وتارة بالعفو والصفح وغير ذلك من أنواع الصلة على حسب القدرة والحاجة والمصلحة»[١].

«وَلَا خِلَاف أَنَّ صِلَة الرَّحِم وَاجِبَة فِي الْجُمْلَة، وَقَطِيعَتهَا مَعْصِيَة كَبِيرَة.

وَالْأَحَادِيث فِي الْبَاب تَشْهَد لِهَذَا، وَلَكِنَّ الصِّلَة دَرَجَات بَعْضهَا أَرْفَع مِنْ بَعْض، وَأَدْنَاهَا تَرْك الْمُهَاجَرَة، وَصِلَتهَا بِالْكَلَامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ، وَيَخْتَلِف ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَة وَالْحَاجَة، فَمِنْهَا وَاجِب، وَمِنْهَا مُسْتَحَبّ، وَلَوْ وَصَلَ بَعْض الصِّلَة لَمْ يَصِل غَايَتهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا، وَلَوْ قَصَّرَ عَمَّا يَقْدِر عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا.

وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الرَّحِم الَّتِي تَجِب صِلَتهَا، فَقِيلَ: هُوَ كُلّ رَحِم مُحَرَّم، بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدهمَا ذَكَرًا وَالْآخَر أُنْثَى حَرُمَتْ مُنَاكَحَتهمَا.

فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُل أَوْلَاد الْأَعْمَام وَلَا أَوْلَاد الْأَخْوَال.

وَقِيلَ: هُوَ عَامّ فِي كُلّ رَحِم مِنْ ذَوِي الْأَرْحَام فِي الْمِيرَاث، يَسْتَوِي الْمَحْرَم وَغَيْره، وَيَدُلّ عَلَيْهِ قَوْله ﷺ: «**ثُمَّ أَدْنَاك أَدْنَاك**».

قال النوويُّ رحمه الله تعالى: وَهَذَا الْقَوْل الثَّانِي هُوَ الصَّوَاب، وَمِمَّا يَدُلّ عَلَيْهِ الْحَدِيث السَّابِق فِي أَهْل مِصْر: «فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّة وَرَحِمًا» وَحَدِيث: «إِنَّ أَبَرّ الْبِرّ أَنْ يَصِل أَهْل وُدّ أَبِيهِ» مَعَ أَنَّهُ لَا مَحْرَمِيَّة». ا.هـ[٢].

---

(١) صلة الأرحام، مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة، تأليف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٦.

(٢) شرح مسلم للنووي ٨/ ٣٤٥.

فالرحم: اسْمٌ شاملٌ لكافة الأقارب من غير تفريق بين المحارم وغيرهم، وهو اختيار النوويُّ رحمه الله تعالى كما تقدم، واختاره القرطبي[١] والحافظ ابن حجر[٢] والإمام ابن باز وابن عثيمين[٣] رحمهم الله تعالى.

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: الأرحام الذين تجب صلتهم من تجتمع بهم في الجد الرابع، هؤلاء هم الأرحام، حتى القرابة من جهة الأم تجب صلتهم كما تجب صلة الأم، ولهذا جعل النبي ﷺ من بر الوالدة أن تصل أقاربها. ا.هـ[٤].

«وأما أقارب الزوجة فهم أصهار وليسوا بأرحام، وكذلك أقارب الزوج بالنسبة للمرأة أصهار وليسوا بأرحام»[٥].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٥٢٨.
(٢) فتح الباري ١٠/٥٠٨.
(٣) فتاوى إسلامية، (جمع وترتيب): محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند.
(٤) من لقاء الباب المفتوح للشيخ محمد العثيمين الشريط، رقم: (١٨٦).
(٥) موقع الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: http: //www.ibnbaz.org.sa/mat/9326

منزلةُ ومكانةُ ذَوي الْقُرْبى والرَّحِمِ

جاءتْ الآياتُ والأحاديثُ الكثيرة في تعظيم صلةِ ذَوي الْقُرْبى والرَّحِمِ، وفضيلةِ ذلك، وليس هذا الكتاب محلَّ اسْتقصاءٍ لها، ولكنْ أُشير إلى بعضِ هذه الفضائل:[١]

صلة الأرحام يزيد الله بها في العمر، ويبسط في الرزق، ويَصل من وصلها، وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب.

قال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره**[٢] **فليصل رحمه**»[٣].

وهي من أول الأمور المهمة التي دعا إليها النبي ﷺ في أول بعثته، ففي حديث أبي سفيان بن حرب: أن هرقل عظيم الروم قال له حينما سأله عن رسالة النبي ﷺ: ماذا يأمركم؟ قال: أبو سفيان: قلت: يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة**»[٤].

وهي من أسباب دخول الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال ﷺ:

---

(١) صلة الأرحام، مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة، تأليف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٦.

(٢) ينسأ له في أثره: أي: يؤخر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) البخاري (٧).

«**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»(١).

وهي من أسباب النجاة من العقوبة؛ لأن قطيعة الرحم تسبب العقوبة، في الدنيا والآخرة.

فعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مَعَ ما يَدَّخرُ له في الآخرة: من البغي، وقطيعة الرحم**»(٢).

وعن جبير بن مطعم ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(٣)؛ يعني: قاطع رحم(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذِ بك من القطيعة**». قال: «**نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟**» قالت: بلى يا رب، قال: «**فهو لك**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]»(٥).

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش**

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم ٧/ ٩٥، برقم: (٥٩٨٣).

(٢) أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٩١٧، ٩٧٦)، وفي صحيح الأدب المفرد، ص٥٣.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٤) من رواية مسلم المتقدمة برقم: (٢٥٥٦).

(٥) البخاري (٤٨٣٠٩)، ومسلم (٢٥٥٤).

تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[١].

وبعضُ الناس يصل مَن وصله، ولا يصل من قطعه أو جفاه، فوصلُه لمن وصله ليس صلةً بل مُكافأةً على صنيعه، ولا فَضْلَ له في ذلك.

قال ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**».

أي: إنَّ الذي يصل غيره مكافأةً له على ما قدّم من صلة، مقابلةً له بمثل ما فعل ليس بواصل حقيقة؛ لأن صلته نوعُ معاوضةٍ ومبادلة، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ حقًّا: الَّذِي إِذَا قَطعَه قريبُه وَصَلَه، وصبَرَ على جفائه وهَجْرِه.

(١) مسلم (٢٥٥٦).

نصيحة لمن هجر وقطع قريبه

اسْمع يا من هجرت وقطعت قريبك إلى موقف الصديق أبي بكرٍ رضي الله عنه حيث كان ينفق على مسطحٍ رضي الله عنه لقرابةٍ بينهما، فهو ابنُ خالته، وكان ممن تَكلَّم في الإفك، بل هو ممَّن اتهم عائشةَ ابنته صراحةً بما برَّأها الله منه رضي الله عنها، فحلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق عليه.

فانظر وتأمل كيف لم يَهْجره ولم يُقاطعْه، وإنما قطع النفقة فقط، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله، أُحِبُّ أن يَغفر الله لي، وَرَدَّ إلى مسطحٍ نفقته وقال: والله لا أنزعها أبدًا[(١)].

تأمّلْ يا من قطعتَ وهجرت أخاك أو قريبك أو سببتَه أو تكلَّمت عليه بقسوةٍ وحدَّة، كيف نهى الله تعالى أنْ يقطع المعروف عمَّنْ اتَّهَمَ عرضه وشرفه.

وهل تُقارن ما تعرض له أبو بكر رضي الله عنه من ظُلم من قريبه مِسطَح، بما تعرضَّتَ له أنت من ظلمٍ من قريبك ـ على فرضِ أنه ظلمك حقًّا ـ؟؟.

أفلا تُحبُّ أنْ يغفر الله لك؟ فإنْ كنتَ تريد من الله تعالى أنْ يغفر لك ويُسامحك في يومٍ قد تندم على عدمِ مُسامحتك وعفوك، حين ترى جزاء العافين بأمِّ عينك.

---

(١) البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٧١٩٦).

ولا يعني هذا ألا نُحاسب المخطئ، فقد حاسب النبي ﷺ بعضًا من الصحابة رضي الله عنهم على بعض الأخطاء والذنوب..

ولكن المحاسبة لا تعني إعلان المقاطعة، والغلظة والجفاء.

والعاقل يتحاشى قطيعة قريبه خشيةَ غضب ربه، وسوءِ سُمعته.

وما أحسن قول القائل[١]:

ولا أدَعُ ابنَ العَمّ يَمْشِي عَلى شَفًا ... ولو بَلَغَتْنِي منْ أذاهُ الجَنادِعُ[٢]

ولكن أُواسيهِ وَأنْسَى ذُنوبَهُ ... لِتُرجِعَهُ يَوْمًا إليّ الرّواجِع

وأُفْرِشُهُ مالي وأحفَظُ غيْبَهُ ... ليسمعَ أني لا أُجازيهِ سامعُ

وحسبُكُ من جهلٍ وسُوءِ صَنيعَةٍ ... مُعَاداةُ ذِي القُربى وإنْ قيلَ قاطعُ

ويا سبحان الله!! على ماذا هذا الكره والتقاطع؟ على دنيا فانيةٍ حقيرةٍ، أو زلةِ لسان لا يَسلم منها أحد! أمَا لَكَ في رسولك وحبيبك أسوةٌ حسنة؟ أتعرف من هو عبد الله بن أبيّ بن سلول؟ ذلك المنافق الذي اتَّهم عرض رسول الله ﷺ!! اتهم زوجته عائشة بالفجور والزنا، حتى دخل الهمُّ والحزنُ كلَّ بيتٍ من بُيوت المدينة، وأصاب عائشةَ رضي الله عنها كربٌ شديدٌ، واغتمّ صاحب القلب الأبيض ﷺ غمًّا شديدًا، حتى برَّأ الله عائشة من فوق سبع سموات، وهو الذي قال مرةً: «ليخرجن الأعز منها؛ يعني: نفسه، الأذل؛ يعني: رسول الله»، وما زال أذاه في رسول الله وأصحابه وعرضه حتى داهمه الموت، فجاء ابنه عبد الله بن عبد الله فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفِّنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له، فأعطاه صاحب القلب الأبيض الطاهر قميصه وقال له: آذِنّي أصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثَبَ إليه عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أتصلي

(١) ديوان الحماسة، بشرح التبريزي ١/ ٣٢٤.

(٢) الجنادع: الدَّوَاهي والمصائب والبَلايا.

على ابن أبّي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، يعدِّد عليه قوله. فتبسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «**أخِّر عني يا عمر**».

فقال عمر: أما قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]؟

فقال: إني خُيِّرت فاخترت لو أعلم أني إن زدتُّ على السبعين غُفِر له: لزدت عليها.

فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤].

الله أكبر! ما أعظم قلب رسول الله وما أطهر فؤاده، مع كلِّ ما فَعله واقترفه هذا المنافق، وهو ليس بمسلمٍ ذي سُمْعةٍ حسنةٍ ولا قريبٍ، ولكنه محسوبٌ من عدادِ الْمُسلمين في الظاهر، إلا أنه عليه الصلاة والسلام ما هجره وما قطعه، بل صلى عليه وكفَّنه بقميصه واستغفر له.

وعندما دخل نبيُّ الله ﷺ مكةَ فاتحًا مُنْتصرًا وقفتْ أمامه جموعٌ من قريشٍ أذلةً صاغرين، وبعضهم قد كان آذى رسول الله أذىً شديدًا، فمنهم من قد سبَّه وشتمه، ومنهم من اتهمه بالسحر والشعوذة، ومنهم من ضربه وضرب أصحابه، فقال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال قولته الشهيرة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فإذا كان هذا خيرَ خلق الله وأكرمَهم على الله لم يَنتقِمْ لنفسِه، مع أنَّ أذاه أَذَى الله[1]، ويتعلّقُ به حقوق الدِّين، ونفسُه أشرف الأنفُس وأزكاها وأبرُّها، وأبعدُها من كلّ

(١) أي: أن من يُؤذي رسول الله فقد آذى الله تعالى، وفي بعض النسخ: لله، ولعل الْمُثبت هو الصواب.

خُلُقٍ مذمومٍ، وأحقُّها بكل خُلُقٍ جميلٍ، ومع هذا فلم يكن يَنتقِم لها، فكيف يَنتقِمُ أحدُنا لنفسِه التي هو أعلم بها وبما فيها من الشرور والعيوب؟، بل الرجل العارف لا تُساوِي نفسُه عنده أن ينتقم لها، ولا قدْرَ لها عنده يُوجِبُ عليه انتصارَه لها[1]. ا.هـ.

وها هو يوسف عليه السلام، ألقاه إخوته في الجبّ بعد أن تآمروا على قتله، وفرقوا بينه وبين أبيه وأهله أربعين سنة ـ كما قيل ـ، ذاق خلالها مرارة العبودية والسجن والظلم، فلما رفع الله من شأنه وأصبح عزيز مصر والْتقى بإخوته وقالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١] فبماذا ردَّ عليهم؟ قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢] فلم يُذَكِّرْهم بالماضي، بل ولم يُعاتبهم أيضًا، ولكنْ سامحهم ودعا لهم.

فبادرْ بطلب الصُّلحِ والعفو من قريبك، قِفْ أمامَه واطْلُب منه الْمُسامحة ونسيان الماضي، قبل أنْ تقفَ أمامَ الْحَكَم العدل سبحانه، فلا مجال للصلح حينها، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، إنما هي الدِّقةُ في الحساب، وسيُحاسبك على أمورٍ عملتها أو قلتها لصاحبك لم يَخْطر ببالك أنْ تُحاسَبَ عليها، ويُوقفُك على أمورٍ كنتَ تظنُّ أنك المحقُّ فيها، فإذا بك تكون الظالمَ الْمُعتدي، فتتقطَّع حسرةً وندمًا على عدمِ صلحك معه في الدنيا.

فها هو السجل بيدك اليوم، فإن أردت ألا يُفتح يوم القيامة فبادر بطلب الصلح والعفو، واحذر أن تأخذك العزة بالإثم.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية ١/ ١٧١.

وقد عدَّ كثيرٌ من العلماء التقاطع من الكبائر.

ومن أعظم الوسائل في ذهاب الكراهية من القلب: الدعاءُ بظهر الغيب لمن تُبغض، فإنه على ما فيه من الأجر العظيم، إلا أنه لا يلبث الداعي لأخيه مع الأيام، حتى يخف ما يجده في قلبه تجاهه[١].

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص١١٠ ـ ١١٤ (بتصرف).

أسبابُ المشاكل والخلافات وعلاجُها

وبعد هذه المقدمة المهمة، والمدخل الضروري أبدأ الحديثَ عن أسباب المشاكل والخلافات في بيوت الناس، وهي كثيرةٌ مُتشعِّبة.

ولكنِّي حصرتُها ـ حسب اسْتطاعتي ووقوفي على كثيرٍ من هذه المشاكل ـ فوجدتُّها لا تخرج عن الأسباب التي سأذكرها إنْ شاء الله تعالى.

فالواجب على كلِّ أسرةٍ وفردٍ من أفرادها أنْ يتجنبوا هذه الأسباب، حتى لا يقعوا فيما يُغضب ربهم تبارك وتعالى، وحتى يعيشوا مع أقاربهم بسعادةٍ وطُمأنينة، وراحةٍ ومَوَدَّةٍ واجْتماع.

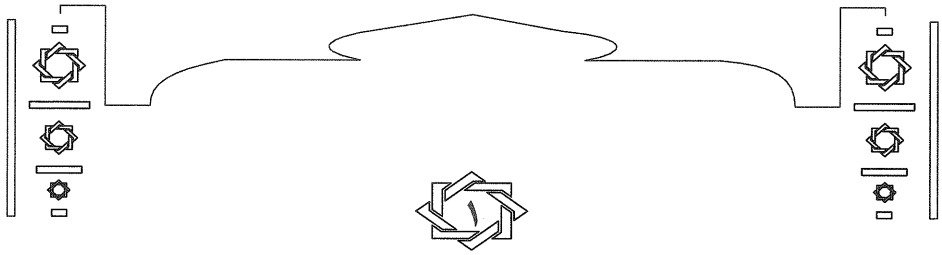

١

البعدُ عن الإسلام وتعاليمِه القويمة

هذا هو السبب الأساسُ لكلِّ مشاكلِ الأُسر وغيرها، فالدين الإسلامي جاء بالتعاليم العظيمة، التي من التزمها وقام بها حقّ القيام: فلن يصدُرَ منه إلا كلُّ خُلقٍ حسن جميل، وسلوكٍ طيِّبٍ فضيل.

فالشريعةُ الإسلامية تأمرنا جميعًا ـ أفرادًا وجماعات، وأُسَرًا ومُجتمعات ـ بأنْ نسعى في بذلِ الخير والبر، والإصلاحِ بين الناس، والكفِّ عن القبيح والشر.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وتأمرنا أنْ نعفو ونتجاوز ونُسامح من أخطأ علينا ابْتغاء مرضاة الله، لا خورًا وضعفًا.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

وتأمرنا بإحسان الظن بالآخرين، والْتماس الأعذار لهم، وعدمِ حملِ أفعالهم على أسوأ محمل، وتنهانا عن الغيبةِ والتجسس.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وتأمرنا بأنْ يرحم الكبير منَّا الصغير، ويُوقِّر الصغيرُ منَّا الكبير.

قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**»(١).

وتأمرنا شريعتُنا السمحةُ بعدم نقل الكلام بين الناس، وألا نذكرهم إلا بالخير والإحسان، إلا إذا كانوا أشرارًا فنحذِّر الناس منهم لئلا يُجالسوهم فيُصبحوا أشرارًا مثلهم.

عَنِ الْمَرْءِ لَا تسْلْ وَسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارن يَقْتَدِي

وتأمرنا شريعتُنا العظيمة: بالعدل والإنصاف، وتنهانا عن الظلم والميل بدون حقّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

إنَّها الشريعةُ العظيمة، المنزلةُ لإنقاذ البشرية، وإسْعاد الإنسانية، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى خَلْقِهِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَيْ: زَاجِرٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ والظلم والرَّديء من الأخلاق والتعامل، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ أَيْ: مِنَ الشُّبَه وَالشُّكُوكِ، والقَلَقِ والْحَيْرَةِ، والْحَسَدِ والْحِقْدِ والْبَغْضَاءِ لِلْمُؤْمِنين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ فهو مع ذلك كلِّه جاء لنشر الْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ بين الناس.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦٧٣٣)، وهو حديثٌ صحيح.

لكنَّ هذه الْهِدَايَةَ وَالرَّحْمَةَ لا يُحسُّ بها إلا من عرف قدرها، وآمن وتمسك بالدين الحنيف، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

فهذا السبب هو أعظم الأسباب ولا شك، وما يأتي من الأسباب كلها بلا اسْتثناءٍ إنما هو مُتفرِّعٌ منه، وذلك بسبب مُخالفةِ الأُسَرِ لِمَا أمرها الله تعالى، وارْتِكابها لِمَا نُهيتْ عنه.

فالبيت الذي قد مُلئ بشتَّى أنواع المعاصي، من قنواتٍ هابطة، وأغانٍ ماجنة، وقلَّةِ مُحافظةٍ على الصلوات، وتبرُّجٍ وسفور: لا شكّ أنه لن يكون بيتًا مُترابطًا مُتماسكًا، ولن يعيش أفراده مع بعضهم بألفةٍ وسعادة ـ غالبًا ـ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

٢

عقوقُ الوالدين

إنَّ الحديث عن عقوق الوالدين يقشعرّ من هولِه البدنُ، ويضطرب منه القلب؛ لِمَا فيه من الْمواجِعِ الْمُؤلمة، والقصص الشنيعة.

عقوق الوالدين، والتقصيرُ في حقّهما، هو من أمّهات أسْباب الخلافات الأسرية، بل هو المشكلة والمعضلة.

والعاقُّ لا يُرجى خيرُه لأُسرته وأهله، فمن لم يكن به خيْرٌ لوالديه كيفَ يكون فيه ذرَّةُ خيرٍ لغيرهما؟.

والأدلة من الكتاب والسُّنَّة مُسْتفيضةٌ وصريحةٌ في وجوب برهما، والقيام بحقهما، وسأذكر ـ لك أخي وأختي ـ بعضًا منها:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أَي: وصَّى بتوحيده وإفراده بالعبادة، وأمر ببرهما والشفقة والعطفِ عَلَيْهِمَا.

ثم أكَّدَ على الابن والابنة ذلك حال كبر والديهما فقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أي: لا تُسمعهما قولًا سيئًا، حتى ولا التأفيف، الذي هو أدنى مراتب القول السَّيِّئ.

قال الحسين بن علي رضي الله عنهما: «لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من الأفّ لحرّمه».

فإذا كان قول أفٍّ لا يجوز، فكيف بمن يرفع صوته عليهما، أو يرد عليهما، كيف بمن يعصي أوامرهما، ولا يلبي طلباتهما في غير معصية الله، بل وكيف بمن يسبهما ويرفع يده عليهما والعياذ بالله.

ثم تأمّل قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾، فكلمة: ﴿عِندَكَ﴾ تدلّ على معنى التجائهما واحتمائهما وحاجتهما، فلقد أَنْهَيَا مُهمتهما، وانقضى دورهما، وابتدأ دورك، وهاهي مهمتك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

فيجب عليك أَنْ تتولى خدمتهما وهما في هذا السنّ الكبير، فطالما قامَا بخدمتك وتنظيفك، «وَكَيف يَقع التَّسَاوِي وَقد كَانَا يحْملَانِ أذاك راجين حياتك وَأَنت إِن حملت أذاهما رَجَوْت مَوْتهمَا»![1].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: ولا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيح، قال عطاء بن رباح رحمه الله تعالى: أي: لا تنفض يدك عليهما.

ثم بالغ في الأمر ببرهما فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أي: لينًا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم.

ثم زاد على ذلك فقال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ أي: تواضع لهما بفعلك، مُتذلّلًا مُسْتكينًا، خافضًا صوتك عند حديثك معهما، وَقُل دائمًا وأبدًا: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ أي: الطف بهما في كبرهما وعند وفاتهما[2].

وأما الأحاديثُ الصحيحةُ فكثيرةٌ جدًّا، منها ما ثبت في «الصَّحِيحَيْنِ»[3]: أنَّ رجلًا جَاءَ يسْتَأْذن النَّبِي ﷺ فِي الْجِهَاد مَعَه فَقَالَ

---

(١) الكبائر للذهبي ١/ ٣٩.
(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦.
(٣) البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

النَّبِي ﷺ: «**أَحَيٌّ والداك؟**» قَالَ: نعم، قَالَ: «**ففيهما فَجَاهد**».

فَانْظُر كَيفَ فضَّل بِرَّ الْوَالِدين وخدمتهما على الْجِهَاد في سبيل الله تعالى، مع ما فيه مِن بذل الروح والنفس في سبيل الله.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ـ قَالَها ثَلَاثًا ـ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**».

فَانْظُر كَيفَ قَرَن الْإِسَاءَة إِلَيْهِمَا وَعدم الْبر وَالْإِحْسَان بالإشراك بالله تعالى.

أيها الابن الموفق والْبنتُ المباركة: الله الله في بِرِّ الوالدين، وخاصَّةً الأم، «تلك المربّية المشفِقَة، لُطْفها ملأَ جَنَانها، حملتك في أحشائها تسعة أشهر، تألَّمَت من حملك، وكابَدَت آلام وضعك، حَمَلتك كُرهًا، ووضعتك كُرهًا، رأت الموت بعينيها عند ولادتك، صرخت وبكت، ولما بَصُرت بك إلى جانبها سُرعان ما نسيت آلامها، وعَلّقَت فيك جميع آمالها، رأت فيك البهجة والحياة وزينتها، ثم شُغِلَت بخدمتك ليلها ونهارها، تُغذيك بصحتها، طعامُك دَرُّها، وبيتك حِجْرُها، ومركبك يداها وصدرها، سهرت ونِمْت، تألَّمَتْ لألمك، سهرتْ لراحتك، وحملتْ أذاك وهي غير كارهة، وتحمّلتْ أذاك وهي راضية، تُحِيطك وترعاك، ولو خُيّرت بين حياتك وموتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها، كم عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سِرًّا وجهارًا، كم كانت تجوع لتشبع، وتسهر لتنام، وتتعب لتستريح، تترك كثيرًا مما تشتهيه خشية ضرر يعتريك، فهي بك رحيمة، وعليك شفيقة.

---

(١) البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

أنسيت عندما كنت صغيرًا؟! إذا غابت عنك دعوتهَا، وإذا أعرضت عنك ناجيتَها، وإذا أصابك مكروه استغثتَ بها، تحسب كل الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك إلى صدرها أو لحَظَتك بعينها، فكيف بعد ذلك تعقّها؟!

رأى ابن عمر ﷺ رجلًا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة، وقد أتى بها من بلاده، فقال: يا ابن عمر، أتُراني جازيتها؟ قال: «لا ولا بطلقةٍ واحدةٍ من طلقاتها، ولكن أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا».

ولما ماتت أمُّ إياس القاضي المشهور بكى عليها، فقيل له في ذلك فقال: «كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، فغلِّق أحدُهما».

وكان هناك رجلٌ من المتعبدين يُقَبّل كل يوم قدم أمه، فأبطأ يومًا على أصحابه فسألوه، فقال: «كنت أتمرغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات».

فللَّه درّهنّ من أمهات مشفقات، ومربيات رقيقات، ووالدات حانيات، فجزاهنّ الله عنّا جنة عرضها الأرض والسمٰوات»[1].

لقد زرع الله تعالى الرحمة والرأفة في قلب الأم تجاه ولدها، تتحمل أذاه، وتصبر على لأواه، يقسو عليها فتلين له، يهجرها فتحن عليه، تدعو له ولا تدعو عليه، حتى لو وصل به العقوق غايته، فهذا أحد العاقين لأمه، طرد أمه من بيته، بعد إلحاح زوجته الظالمة له بأن يطردها، فتخرج من بيته وليس لها بيت سواه، خرجت كسيرة باكية، طرد أمه التي ربته طوال حياته، طرد أمه التي ربته صغيرًا، وأملتْ فيه كثيرًا،

(١) من خطب الشيخ ناصر الأحمد حفظه الله. كما في موقعه: (http://alahmad.com/node/523).

عقدت عليه آمالها وطموحها، لكن في النهاية: يطردها من بيته، مضت الأيام، وأحس الابن بالندم، فخرج يبحث عنها، فأين وجدها؟ وجدها في أحد الطرقات، تمد يدها للناس لتسد جوعها وعطشها، فانكب عليها باكيًا نادمًا، فقالت له وهي تكفكف دموعها: والله يا ولدي، منذ أن طردتني من بيتك، وأنا أدعو الله أن يعطف قلبك، وألا يعاقبك على فعلتك.

فاللَّهُمَّ اغفر لوالدينا، وارحمهم كما ربَّونا صغارًا.

واعلم أيها العاقُّ واعلمي أيتها العاقَّة، بأن الجزاء من جنس العمل، فمن أحسن إلى والديه، وحنا عليهما، وبرهما، رزقه الله أولادًا يحسنون إليه ويبرونه، ومن عق والديه: عُوقب بأولاد يعقونه، وينكرون فضله، ويسيؤُون إليه.

فعقوق الوالدين من أعظم وأخطر المشاكل الأُسرية، والبيت الذي فيه عاقٌّ يعيشُ أهلُه في نكد، ولا يستمتعون بطعم وحلاوةِ ترابطِ الأُسرة، ولا يهنؤون بلذة العيش، فالعاقّ كدَّر عيشهم، وأفسد وحدتهم، ونغَّصَ حياتهم.

وصور العقوق كثيرة، منها التسويفُ حال أمرهم له، والتأفُّفُ والتذمّر، والقيامُ بالعمل على غير الوجه المطلوب.

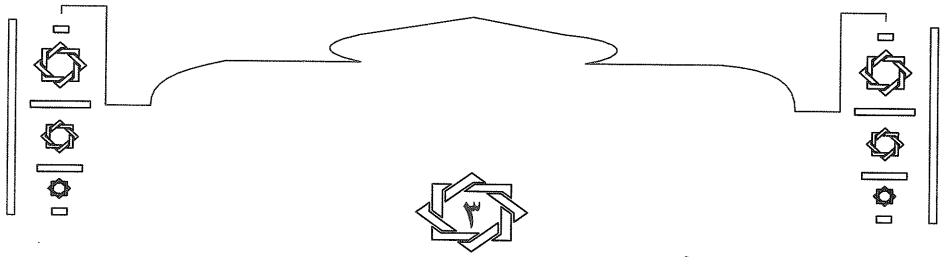

٣

ظُلْم وبغيُ الوالدين أو أحدِهما

مِن المعلوم أنَّ الله تعالى فطر عباده على الرحمة، وغرس في قلوبهمُ الرأفة، ولا ينحرف عن ذلك إلا مَن انتكَستْ عنده الفطرة، ورقَّ الإيمان في قلبه.

ومِن بين أولئك الذين انْتكستْ فِطرُهم، وتوحَّشت طِباعهم: بعضُ الأزواجِ الذين تخلَّوا عن زوجاتِهم، بسبب خلافاتٍ وسوءِ تفاهم، فمِن مُطلِّقٍ طلاقًا لا رجعة فيه، ومِن مُمْسكٍ بغير معروف، ولو طلَّقها لكان أرحم بها، حيث يُمْكِنُها أنْ تَحْصُلَ على مُساعداتٍ من الجمعيات الخيرية، والشؤونِ الاجتماعية.

ولكنَّ المشكلة أنَّ هؤلاء لم يتركوا نساءهم فحسب، بل تركوا أبناءهم، فلا يصرفون عليهم إلا شيئًا يُستحَى من ذكره.

وهل أنا مسرورٌ بقربِ أقاربي إذا كان لي منهمُ قلوب الأباعد

كم والله رأينا ورأى الناس أمثال هؤلاء، الذين تجاوزوا الطباع البشرية، وتوحَّشوا أشدّ من السباع الْمُفترسة، فكلُّ حيوانٍ مهما اشتدَّت شراسته، وغلُظ طبعه، يحنُّ لولده، ويُطعمه ويسعى عليه، ويُدافع عنه ولو قُتل دونه.

أما هؤلاءِ الغلاظُ الشداد، فتركوا أولادهم يعطف عليهمُ الناس، وتركوهم في بيوتٍ قديمة، وفرشٍ باليَةٍ، وأطعمةٍ زهيدة.

وخذوا هذه القصصَ التي وقفتُ عليها وعايشتها، فهذا أبٌ هَجَرَ أولادَه لسنواتٍ عديدة، وبعضهم لم يتجاوز العاشرة من عمره، ولا يدخل عليهم في السنة إلا مرةً أو مرتين، وعندما نَصَحْتُه في ذلك، وأنَّ مشاكله مع زوجته لا تُبَرِّر له هجرَ أولادِه وعدمَ الإنفاقِ عليهم، قال بالحرف الواحد: الأمّ هي السبب، وأبنائي ليس فيهم خير!.

وأحدهم أبٌ لتسعةٍ من الأولاد، وهو من رجال الأعمال، تزوج بالثانية، فتنكَّر وتغيَّر على الأولى، حتى ضاقت بها الحال، وآل بها الأمر إلى السآمةِ والْملال، فما كان منه إلا أنْ تركها عند أهلها لسنواتٍ عدَّة، لا يصرف عليهم ولا يُكلمهم، ولا يحنُّ عليهم ولا يرحمهم.

وآخر يملك بأرصدته عشراتِ الملايين، ترك زوجته وأولاده، وأسكنهم في بيتٍ لا تسكنه الكلاب، ويشحُّ عليهم في الطعام والشراب، وَمَرِضَتْ بِنْتُه الكبرى فعافها الخُطَّاب، تركها وهي تئِنُّ بمرضها، وتشكو إلى ربها ظلم أبيها.

إنها قصصٌ يَنْدى لها الجبين، وتدمعُ لها العين.

ما ذنبُ أطفالِهم وبناتِهم؟، ما هو الذنبُ الذي كَسَبَتْهُ أيْديهم؟، هل هناك قلبٌ على وجه الأرض يصبر على هجرِ أبنائه وفَلَذَاتِ كَبِدِه!.

هل هناك قلبٌ ينبضُ يصبرُ على رؤيتهم وضمِّهم.

للظُّلم بين الأقْربين مَضَاضَةٌ[١] والذُّلُّ ما بين الأَبَاعِدِ أَرْوَحُ

فإذا أَتَتْكَ مِن الرِّجال قَوارِضٌ[٢] فَسِهَامُ ذِي الْقُرْبى الْقَرِيبة أَجْرَحُ[٣]

---

(١) أي: ألمٌ ووجع.

(٢) جمع قَارِضٍ، أي: قَوَاضِمُ، شبَّه سوء قولهم وفعلهم بالعضة.

(٣) محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني ٧/ ٣١٧.

كيف يُنجبُ أبناءً ويَتْرُكُهم عالةً على الناس، يتركُهُم يتجرَّعون الأسى والحسرة، إذا رأوا يتيمًا يمشي على الأرض غبطوه؛ لأنه يلقى عطْفًا من الناس أمامهم، أمَّا هُمْ فلَهُم أبٌ يتقلَّب في النعيم، وهم يعيشون في الفقرِ الأليم، ولا يشعر أحدٌ بحالهم.

ما أشدّ الظلم إذا كان من القريب، فكيف إذا كان من الأبِ الحبيب.

وظلمُ ذوي القربى أشدُ مضاضةً على النفسِ من وقعِ الحسامِ المهندِ

فلْيعلم هؤلاءِ الْمَحْرُومون: أنَّهم على خطرٍ عظيم، فمَن لم يرحمْ أبناءه وبناتِه، ويعطفْ ويحنُّ عليهم، يُخْشى عليه ألَّا يرحمه الله يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

قَالَ ﷺ: «**مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَوَاللهِ ما نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ إِنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**». رواه البخاري[(٢)].

فما أبشع قلبًا نُزعت منه الرحمة، وخلا من العطف واللين والرأفة.

قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(٣)].

يقول العلّامةُ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ ـ بعد كلامٍ طويلٍ حول هذا الموضوع ـ: وَقَدْ كُنْتُ أُنْكِرُ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

---

(١) البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٦١٧٢).

(٢) (٥٩٩٨).

(٣) رواه الترمذي وصححه (١٩٢٤).

وَأَعُدُّهُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ الشِّعْرِيَّةِ حَتَّى كِدْتُ بَعْدَ إِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِي أَحْوَالِ الْوَالِدَيْنِ مَعَ الْأَوْلَادِ وَتَدَبُّرِ مَا أَحْفَظُ مِنَ الْوَقَائِعِ فِي ذَلِكَ، أَجْزِمُ بِأَنَّ قَوْلَهُ هَذَا صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ، فَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ قَدِ انْغَمَسَ فِي التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَأَفَاضَ مِنْ فَضْلِ مَالِهِ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ، وَغَيْرِ الْمُسْتَحِقِّينَ، وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ مَنْ يَعِيشُ فِي الْبُؤْسِ وَالضَّنْكِ، وَلَا يَنَالُهُ مِنْ وَالِدِهِ لَمَاحٌ وَلَا مُجَاجٌ مِنْ ذَلِكَ الرِّزْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَعَبْدِ الرِّقِّ.

إِنَّمَا أَطَلْتُ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ النَّاسَ غَافِلُونَ عَنْهُ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ وَصَايَا الْوَالِدَيْنِ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ لِلْوَالِدَيْنِ أَنْ يَعْبَثَا بِاسْتِقْلَالِ الْوَلَدِ مَا شَاءَ هَوَاهُمَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَلَدِ أَنْ يُخَالِفَ رَأْيَ وَالِدَيْهِ وَلَا هَوَاهُمَا، وَإِنْ كَانَ هُوَ عَالِمًا وَهُمَا جَاهِلَيْنِ بِمَصَالِحِهِ، وَبِمَصَالِحِ الْأُمَّةِ وَالْمِلَّةِ، وَهَذَا الْجَهْلُ الشَّائِعُ مِمَّا يَزِيدُ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ إِغْرَاءً بِالِاسْتِبْدَادِ فِي سِيَاسَتِهِمْ لِلْأَوْلَادِ فَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَقَامَ الْوَالِدِيَّةِ يَقْتَضِي بِذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُ الْوَلَدِ وَعَقْلُهُ وَفَهْمُهُ دُونَ رَأْيِ وَالِدَيْهِ وَعَقْلِهِمَا وَفَهْمِهِمَا، كَمَا يَحْسَبُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ الْمُسْتَبِدُّونَ أَنَّهُمْ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ رَعَايَاهُمْ عَقْلًا وَفَهْمًا وَرَأْيًا، أَوْ يَحْسَبُ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ أَنَّهُ يَجِبُ تَرْجِيحُ رَأْيِهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَفِينًا[1] عَلَى رَأْيِ أَوْلَادِهِمْ وَرَعَايَاهُمْ وَإِنْ كَانَ حَكِيمًا. ا.هـ[2].

ومِن الصور المخزية الفظيعة لهؤلاء: تأخيرُهم زواجَ بناتِهم بلا مسوغٍ شرعيٍّ، فتراه يرد الخاطب الكفء، ويؤخرُ زواج ابنتِه، إمَّا لكونها وحيدتَه فلا يرغب في فراقها، أو لرغبته في أنْ تخدمه، أو لأنها موظفةٌ ويرغب في مالها، أو لأنه ينتظر خاطبًا غنيًا يتقدم لها، أو لغيرِ ذلك من الأسباب.

---

(١) أي: ناقص العقل.

(٢) تفسير المنار ٥/ ٧٦ ـ ٧٧.

وهذا حرمانٌ للفتاة من حقها في الزواج، فكيف يكون حالُها وهي ترى قريباتِها من بنات عمها، أو بنات خالها، أو صديقاتها وهن يحملن الأطفال، ويسعدن بالأزواج في راحةِ بال؟.

إنها تحترق كمدًا وغمًا وحسرة.

وهذه قصة فتاةٍ ذكرها أحدُ المشايخ الفضلاء فيقول: هناك امرأةٌ وصل سنها إلى الأربعين، ولم تتزوج بعد، وكلما أتاها الخطابُ رفض والدُها تزويجها، فأصابها بسبب ذلك من الهمِّ والحزن ما الله به عليم، وأصبحَتْ لا تُرى إلا بوجهٍ حزين، وأصابها مِن جراءِ ذلك مرضٌ نُقلت على إثره إلى المستشفى.

فأتاها والدها لكي يزورَها، ويَطمئنَّ على صحتها، فقالت له: اقترب مني يا أبي، فاقترب منها، فقالت له وهي تتقطَّع حسرةً وألَمًا: قل آمين، فقال: آمين، فقالت: حرمك الله الجنةَ كما حرمتني من الزواج، ثم توفيت بعد ذلك رحمها الله.

وهذه قصة فتاةٍ أخرى، منعها والدُها حقَّها الشرعيَّ في الزواج والاستقرارِ والإنجاب، وإحصانِ الفرج بِحُجَجٍ واهيةٍ، حتى كبُرتْ وفَاتَهَا الزواج.

فلما حضرتْ أباها الوفاةُ، طلب منها أن تُحَلِّلَه فقالت: والله لا أُحَلِّلك؛ لِمَا سبَّبته لي من حسرةٍ وندامةٍ، وحرمتني حقي في الحياة.

ماذا أعمل بشهاداتٍ أُعلقها على جدران منزلٍ لا يَجْري بين جدرانه طفل؟.

لم أُرضع طفلًا؟ لم أضمَّه إلى صدري، لم أشكُ همِّي إلى رجلٍ أحبه وأودُّه، ويحبني ويعطف عليّ[1].

---

(١) انظر: صيد الفوائد، تحت عنوان: «كيف نتغلب على مشكلة تأخر الزواج»، أ. محمد شندي الراوي.

فما أكثر البيوتِ التي تضِجُّ بالظلمِ والعُدْوان، ويذهبُ ضحيَّتها الأهلُ والولدان.

فيا أيُّها الأب، ويا أيتها الأم، بادروا في تزويجِ أبنائكم وبناتكم، واحذروا أنْ تُؤَخِّرُوا أو تُعرقلوا زواجَهُم، فكما تنعَّمْتُم أنتم بالزواج وإنجاب الذريّة، فلهم الحق أيضًا في ذلك، لهم الحقّ في أنْ تَقَرّ أعيُنُهم برؤية أبنائهم وأحفادِهم.

وبعضُ الأباء والأمهات عندهم بُرودٌ في هذا الجانب، فلا يُطالِبُون أبناءهم من الذكور بالنكاح، ولا يسعون في إقناعهم وحوارهم.

وكذلك الحال مع البنات، فإذا لم يَطْرُقْ أحدٌ بابه فلا يلتمس خيارًا آخر، والواجب عليه أنْ يسعى بكلِّ الطرق لزواجها، وذلك بعرضها على الكفء من الرجال، وذكرِها عند أهل الأمانة والثقة؛ لكي يذكروها لمن يبحثُ عن زوجةٍ.

فهذا الفاروقُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يقول: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فأجابه عُثْمَانُ بأنه لا يرغب في النكاح، فهل توقف ويئس، لا، بل عرضها على أبي بكرٍ أيضًا[1].

قال الحافظ رحمه الله: فِيهِ عَرْض الْإِنْسَان بِنْته وَغَيْرهَا مِنْ مَوْلِيَّاته عَلَى مَنْ يُعْتَقَد خَيْرُه وَصَلَاحه؛ لِمَا فِيهِ مِنْ النَّفْع الْعَائِد عَلَى الْمَعْرُوضَة عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا اِسْتِحْيَاء فِي ذَلِكَ. ا.هـ[2].

ومن صور ظُلْم وبغي الوالدين أو أحدِهما:

١ ـ القسوةُ والحدَّةُ في الْتَّعامل، واللجوءُ للضرب الْمُبرح.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٥).

(٢) فتح الباري ٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

٢ ـ إهمالهم وعدمُ تربيتهم تربيةً صحيحةً سليمة، فبعضُ الآباء يُنجب الأبناء ولا يرعاهم رعايةً صحيحة، ولا يتعاهدهم ويَتَّخذُ الأسباب في صلاحهم، بل يُطعمهم ممَّا لذّ وطاب، فيأكلون دون تفريقٍ بين ما ينفعهم ويضرهم، فينشؤون مرضَى من التخمة والموادِّ الضارةِ في كثيرٍ من الأكلات والوجبات، وحَمْقَى وفُجَّارًا من كثرة ما يُشاهدونه ويُمارسونه من المعاصي والأفلام والألعاب الالْكترونيّة، التي تُضرّ بدينهم وعقولهم وأجسادهم.

أليس هذا من الظلم والبغي والعقوق؟؟

والواجبُ على الأب والأم، أنْ يتقوا الله في أولادهم، وأنْ يتخذوا السبل الناجحةَ في تربيتهم، ويُراقبوهم ويهتمُّوا بهم.

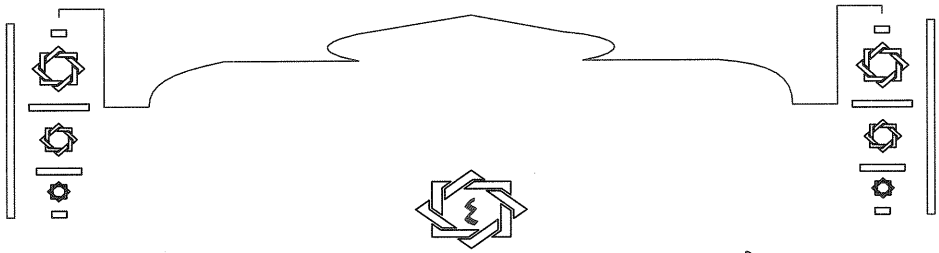

٤

انْحيازُ الأم أو الأب إلى أحدِ الأطراف

إنَّ الأب والأمّ، والجدّ والجدَّةَ هُما أساس اسْتقرار البيت، وهما السبب الأوَّلُ في تماسك الأسرة، والحفاظِ على لُحْمتها واتِّحَادها.

فلذا، فإنَّ أكثر المشاكل والخلافات الأسريةِ، سببُها قلةُ وعْيِ الآباء والأجداد، وانْحيازُهم أو أحدهم إلى صفّ الأبناء أو البنات، أو لأحد أولادهم، وعدمُ إدارةِ الأسرة حسب الضوابطِ الشرعية، والآدابِ الإسلامية.

فيا أيها الآباء والأمّهات، الحِمل عليكم ثقيل، والواجب في حقكم أكبر وأعظم، فكَلِمَتُكم مسموعة، وآراؤُكم مقبولة، فعاملوا أبناءَكم وبناتكم بعدلٍ وإنْصاف، دون ميلٍ وانْحراف.

لا تسمحوا للمشاكلِ، ولا للخلافات بين أولادكم أنْ تظهر، عاملوهم بالرفق والحلم واللين، فإنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. كما قاله الْمُصطفى ﷺ.

أحُدُهم يتَّصل شاكيًا حزينًا، من ميل والدَيه مع أخواته، ووقوفِهم ضدّ الذكور في كلّ قضية، فما مِن مُشكلةٍ أو سُوْءِ تفاهم بينهم، إلا وقفوا في صفّ البنات، واتهموا الرجال بأنهم مُخطؤون.

وأُخرى تشتكي وقوف الأم في صف إخوانها، وتقديرَها واحترامَها لهم، بل وتمدحهم عندنا صراحةً، وإذا حضر أحدُهم رحَّبتْ وفرحتْ،

وأما نحن!، فإذا قدمنا لا نرى ابتسامةً صادقة، ولا نفسًا مُنشرحة، بل إنها كثيرًا ما تخرج إذا حضرنا!.

والأدهى من ذلك، وقوفُ أحدِ الأبوين في صفِّ أحدٍ بعينه ضدّ الآخر، لمجردّ حبِّه وميلِه له، لا لِكَوْن الحقِّ والصوابِ معه.

إنَّ العدل أساس الاستقرار والطمأنينة، وأهم مُقومات بناء الأسرة الناجحة.

وقد كان سلفُنا الصالح رحمهم الله تعالى يعدلون بين أبنائهم حتى في القُبَل والضم

قال بعضُ السلف: كانوا ـ أي: الصحابة والتابعون ـ يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القُبَل.

وضم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ابنًا له وكان يحبه فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة[1].

هكذا يجب عليكم أنْ تفعلوا مع أبنائكم.

(١) يُنظر: حياة السلف بين القول والعمل للكاتب، الطبعة الثانية، تحت عنوان: «عناية السلف بالأبناء»، ص٥٦٣.

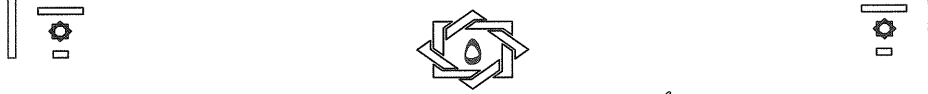

البخلُ والتقتير وخاصَّةً من الآباء

إنَّ كثيرًا من المشاكل الأسريةِ منشؤها البخلُ، ومنع القريب حقَّه، وعدم إيثاره وإكرامه.

فالبخل يُعَدُّ عاملًا قويًا في ظهور المشكلات الأسرية، «فالزوج قد يتهم زوجته بالإسراف وسوء التصرف في إدارة المنزل، وأنها السبب الأوّل في ضياع ميزانية المنزل، أو يكون العكس من ذلك كأن يكون أحد الزوجين شديد البخل فلا يقبل الطرف الآخر هذا التقتير والحرمان فينشأ الصراع بين الطرفين، كما قد يؤدي إلى كره أبنائه له»[(١)].

فالبخل على القريب المحتاج ـ مع وفرة المال ـ مِن أخس الصفات، وأرذلِ الأخلاق.

عَجِبْتُ لِبَعْضِ النَّاس يَبْذُلُ وُدَّهُ ... ويَمْنَعُ ما ضَمَّتْ عليه الأَصابعُ

إذا أنا أَعطيتُ الخَلِيل مَوَدَّتي ... فليْسَ لِمَالي بعد ذلك مَانِعُ

وصدق أبو تمام حين قال[(٢)]:

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا ... مَن كان يَأْلَفُهم في المنزلِ الخشنِ

---

(١) تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة بمكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ص٦٣٣ ـ ٣٦٩.

(٢) محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني ١/ ٣٣٥.

ولو لم يكن من آثار ومفاسد البخل والشح، إلا أنَّ صاحبه فقد لذة الإنفاق، وسعادةَ الإغداق، فإن المنفقَ يجد عند إنفاقه وبذله، وإعطائه وكرمه، سعادةً لا توازيها سعادة، ولذةً لا تساويها لذة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ مُعدِّدًا أَسْبَابَ انْشِراحِ الصّدْرِ ـ: ومنها: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنْ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الّذِي لَيْسَ فِيهِ إحْسَانٌ، أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همًّا وَغَمًّا.

وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي «الصّحِيحِ»، مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ؛ أي: دِرعان، كُلّمَا هَمّ الْمُتَصَدّقُ بِصَدَقَةٍ، اتّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ، وَكُلّمَا هَمّ الْبَخِيلُ بِالصّدَقَةِ، لَزِمَتْ كُلّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتّسِعْ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ[1]. ا.هـ.

وصدق القائل[2]:

المال عندكَ مخزونٌ لوارثه ... ما المالُ مالُك إلا حين تُنفِقه

وصدق الآخر[3]:

يا جامع المال في الدنيا لوارثه ... هل أنت بالمال قبل الموت منتفع

قدِّم لنفسك قبل الموت في مهل ... فإنَّ حظَّك بعد الموت منقطع

قال أبو حاتمٍ رحمه الله تعالى: أجمع أهل التجارب للدهر، وأهلُ

(١) زاد المعاد ٢/ ٢٤.

(٢) الأغاني ٢٣/ ١٣٤.

(٣) روضة العقلاء، ص٢٣٣.

الفضل في الدين، والراغبون في الجميل، على أنَّ أفضلَ مَا اقْتَنَى الرجل لنفسه في الدنيا، وأجلَّ مَا يَدَّخِرُ لها في العقبى، هو لزوم الكرم، ومعاشرةُ الكرام؛ لأنَّ الكرم يُحَسِّن الذكر، ويشرِّف القدر.

الكريم محمودُ الأثرِ في الدنيا، مَرْضِيُ العمل في الْعُقْبَى، يُحِبُّه القريب والقاصي، ويَأْلَفُه الْمُتَسَخِّطُ والراضي. ا.هـ.

ومن أشنع ما يكون من البخل: إذا كان البخل من قِبَل الأب على أبنائه.

يقول لي أحدُ المسؤولين في أحد البنوك وفقه الله: دخل عليَّ رجلٌ رث الثياب، غريبِ المنظر، فظننته يطلب صدقةً تُغنيه، ومالًا يكفيه، لكنه طلب مني كشفًا لِحسابه، فإذا به ما يزيد على العشرين مِليونًا من الريالات!، ومع هذا فقد قتَّر على نفسه وأهله وأبنائه.

فأيها الأب البخيل، ستموت ولن تذهب معك أموالك التي جمعتها، ولن تنفعَكَ كنوزُكَ التي حويتها.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: مصيبتان لم يَسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ منه كلُّه، ويُسْأَل عنه كله[1].

نعم أيها البخيل، سيأخذ ورثتك كلَّ أموالك، وتُسأل عنه يا مسكين في مآلك، وبين يدَيْ ربك وخالقك.

وهل تعلم ماذا سيبقى لك بعد موتك؟: سيبقى ذكرك السيئ، وسمعتك الرديئة.

أين أنت من الفقراء والمساكين من أقاربك وأبنائك، قد سعوا في

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

طلب العيش، لكنْ ضاقت بهمُ السبل، وأعجزتهمُ الطرائق والحيل، يريدون أحدًا يساعدهم، وغنيًا يقف معهم، كم طريقٍ للجنة قد أغلقه بخلُك، وكم سبيلٍ للخيرِ قد منعه شحُّك.

وقد عدّ العلماء البخل من الكبائر، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال لبني سلمة: من سيدكم؟ ـ قالوا: الجدُّ بن قيسٍ على أنا نُبَخِّلُهُ، فقال: **«وأي داء أدوأ من البخل، بل سيدكم عمرو بن الجموح»**(١).

نعم! وأي داء أدوأ من البخل، فالبخل من أعظم الأمراض والأدواء، وأخسِّ الطبائع والأخلاق.

إن هذا الداء العضال، والمرض القتَّال، لا بدّ له من علاجٍ واسْتئصال، وإلا جرّ على صاحبه الذل والنار والوبال، فاعلم يا من ابْتُليت بهذا الداء، أنه لا بد لكل داءٍ من دواء، وداءُ البخل علاجه في الأمور التالية:

أولًا: الدعاء، فأكثر من الدعاء، وناج رب الأرض والسماء، أن يُنْجيك هذا البلاء.

ثانيًا: مجاهدةُ النفس على البذل والعطاء، فإن الله إذا علم منك الصدق، ورآك تجاهد نفسك تبتغي مرضاته، فلن يخيبك أبدًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فجاهد نفسك من هذا اليوم على البذل والإنفاق، وخذ شيئًا من أموالك التي جمعتها، وأعطها لأهلك وأولادك، وأعطها للجمعيات الخيرية، فحينها سيحالفُك التوفيقُ والأنسُ والسداد.

ثالثًا: تذكير النفس بأن ما أنفقته وبذلته لله، فإن الله سيخلفه لك، وسيُعوضك خيرًا منه.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

رابعًا: احتساب الأجر والثواب، وانتظارُ الجزاء من الكريم الوهاب، فلا يكن همُّك وقصدك، أن تحمي سمعتك من كلام الناس عليك، لا، بل ليكُن قصدك مرضاةَ الله تعالى، وأداءَ حقوقه عليك، فبغير هذه النيةِ قد لا تُعان ولا تُوفَّق.

ومن أعظم البخل: البخل على القريب بجاهه أو شفاعته.

فيا من رزقه الله مكانةً ومَنْصِبًا اعلم أن زكاتها: الشفاعة والإعانة للمحتاجين من الأقرباء خاصةً والمسلمين عامَّةً، على ألا يبخس بها حق الآخرين، فإن الشفاعات من أعظم العبادات إذا قصد بها وجه الله ﷻ، قال ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»[1].

(١) البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

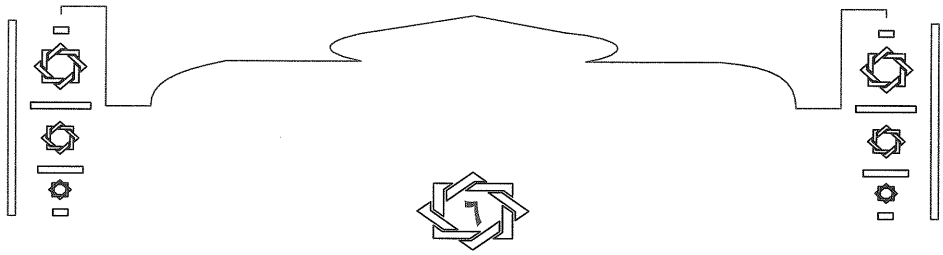

٦

الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية

مما لا شك فيه أنَّ الصحة النفسية عامل أساسي في توازن سلوك الفرد، وأن الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية لا بد أن يخل بهذا التوازن، ويؤثر على طرق التواصل والتوجيه، كما يؤثر على أفراد الأسرة من النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية الْمُختلفة.

ويأخذ هذا السببُ بُعدًا عميقًا داخل المجتمعات العربية، حيث لا زالت فئات متعددة داخله لا تعترف بالمرض النفسي ويتم تجاهله أو اللجوء لطرق غير سوية لعلاجه، كما يحمل المريض النفسي وصمة اجتماعية قد تزيد تفاقم حالته وتؤثر بالتالي على أفراد أسرته.

فإصابة أحد أفراد الأسرة بمرض نفسي أو عصبي تشكل معاناة شخصية له ويعاني أفراد أسرته لمعاناته، كما أن المرض النفسي لأحد الزوجين قد يكون سببًا رئيسًا للعديد من الخلافات الأسرية[1].

وكثيرًا ما تفكَّكت كثيرٌ من الأُسر وتشرْذمتْ بسبب وجودِ مريضٍ نفسيٍّ بينهم، وخاصَّةً إذا كان الأب، فكم عانى أفرادها من مرضه، وتجرَّعوا مرارةَ سوءِ وتقلِّبِ مِزاجِه، وكم أحدث فيهم من الرعب والقلق.

ولا بدّ من علاجِه عند طبيبٍ نفسيٍّ خبير، فكثيرٌ من حالات

---

(١) شادية التل وشافي بن سفر الهاجري، وآخرون، التفكك الأسري دعوة للمراجعة، ص١٤٨.

المرض النفسي والعصبي والوسواس تزداد يومًا بعد يوم، فلا بدّ من تدارك الوضع بأقصى سرعة.

وأعرفُ أُسرةً عاشتْ بهناءٍ وسعادةٍ، وتكاتُفٍ بين أفرادها، ولكنْ أُصيب الأب بمرضٍ نفسيّ، فتحول إلى وحشٍ يضرب ويشتم، ويُهدّد ويتوعَّد، فعاشوا بعد ذلك في ضنكٍ وأسى، فمرةً يضرب زوجته، ومرةً يطرد أولاده، ومرةً يُغلق الباب عليهم، وهكذا اسْتمرّ الحال بهم حتى خرجوا في بيتٍ مُسْتقلّ، وليته كفّ أذاه!.

بل أصبح يطرق الباب عليهم، ويُهدد زوجته، ويدّعي بأنها تسعى في قتله وإلحاقِ الأذى به!.

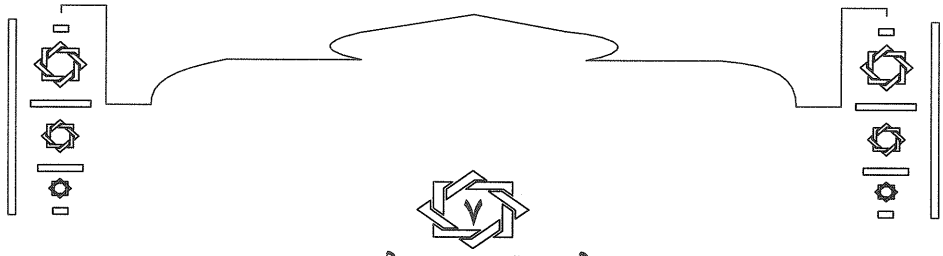

٧

تعاطي الْمخدِّراتِ والْمُسكرات

المخدرات تقضي على الفرد في أعزِّ ما يملك وهو عقله، وبالتالي تقضي على دينه وصحته وسلوكه، وتقضي على المجتمعات بالإخلال بأمنها، وجلبِ الفساد والفوضى إليها، وتدهور اقتصادها، وتُعيقُ تنميتها، وتُفَكِّكُ أُسرَها.

فهي أمُّ الخبائث، ورأس الفتن والشرور، وكبيرةٌ من كبائر الذنوب، متعاطيها معَرِّضٌ نفسه لوعيد الله ولعنتِه وغضبِه.

المدمنُ مفسدٌ لدينه وبدنه، وأسرتِه ومجتمعه، ساعٍ إلى الإثم والعدوان، صائلٌ متمردٌ على الأخلاق والقيم، وهو عضوٌ مسموم في المجتمع، إذا استفحل أمره وتطاير شرره أصابه بالخراب والدمار، ومتى غاب عقل المدمن نسي ربه، فترك الصلاة، فعندها لا يتورع عن القتل والزنا والخطف، بل وحتى الوقوعَ على محارمه والعياذُ بالله.

وكم أحدثت من بغضاء! وكم زرعت من عداوة! وكم فرَّقت من اجتماع! وكم ضيعت من أمَّة! وكم شتتت من أسرة! وكم فرقت بين رجل وزوجته وأب وبنيه!.

وأما آثار المخدِّرات على أمن الأسرة والمجتمع، فقد أثبتت الدراسات الأمنية وجودَ رابطةٍ قويةٍ بين متعاطي المخدراتِ وأصحاب الجرائم، جرائم السلب والقتل، والاغتصاب والسطو، من أجل ماذا؟

من أجل الحصول على المخدرات، فالمدمن لا يتورع عن ارتكاب أيِّ جريمةٍ من أجل الحصول على هذه المخدرات.

وكم سمعنا ورأينا من جرائم هؤلاء المدمنين، في حقِّ مجتمعهم وأقربائهم، بل وبأبنائِهم وأزواجهم، فهذا مدمنٌ يدخل على بيته، فيرى زوجته وأبناءه يتمازحون ويضحكون، فيُخيَّل إليه أنهم أعداءٌ له، فيُخرج سكينًا من جيبه، فَيَنْحَرهم واحدًا واحدًا، وهذه موثقة مشهورة.

وآخر يدخل على زوجته فيطلق الرصاص عليها، وابنته الصغيرة تنظر إلى أمها، قد غطَّتها الدماء، فلك أن تتصور حالها.

وآخر يهجم على أخته، فيمزق ثيابها، يريد انتهاك عرضها، عرض من؟ عرض أخته وشقيقته، فتصرخ بأعلى صوتها، فتحضر الأم، وهي ترى الابن كالذئب المسعور، فتأخذها الحيرة والأسى، فلا تجد حيلةً إلا بإحضار السكين، فتطعن ولدها المجرم السفاح، لتنقذ ابنتها.

فأيُّ صنفٍ يصنَّف هؤلاء! وأيُّ عقولٍ يحملونها! وأيُّ قلوبٍ يمتلكونها!.

فلا غَرْوَ أنْ كانت الْمُخدراتُ وأخواتُها من أعظم أسباب المشاكل الأسرية، بل إنها تجاوزت مرحلة المشاكل إلى مرحلة الخطر والضرر، والقتل والضرب والفقر.

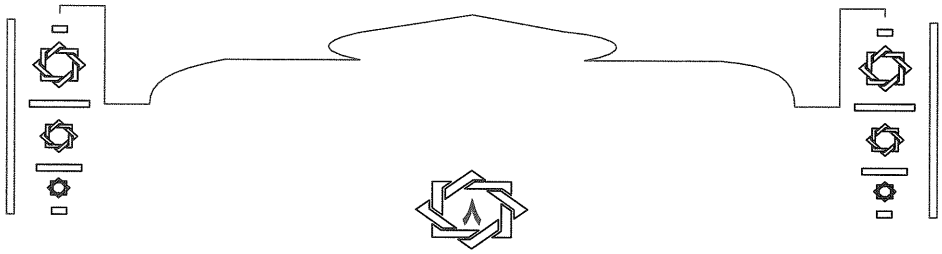

٨

عدمُ العدل بين الزوجات، وظلمُ الجارةِ جارتَهَا

من أعظم أسباب الخلافات الأسريّة: عدمُ عدلِ الأزواجِ بين نسائهم، فكثيرًا ما تحدث الخلافات الكبيرة، والشقاقات العظيمة، بسبب الميل لإحدى الزوجات.

فكم من رجلٍ أخذ على زوجته الأولى، ثم ما لَبِثَ أنْ مال مع الزوجة الثانية، وهو بذلك سَيَخْسَرُ زوجته الأولى وأبناءها أيضًا، حيث يرون أمهم يُهضمُ حقُّها، ويُقدّمُ غيرُها عليها.

فيا له من ظلمٍ عظيمٍ لا يرضاه ربّ العالمين، قَالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**»(١).

وهنا وقفةٌ مع الزوجة التي يميل إليها زوجها أكثر من الزوجة الأخرى: إذا رأيتِ زوجكِ يميلُ إليك أكثر، ويُعطيكِ أكثر من الثانية في المال والمبيت ونحوه، فلا تكوني عونًا له على هذا الظلم والجور، فحينها تُصبحين شريكةً معه في هذا الإثم العظيم.

بل مُريه بالعدل، وحَذِّريه من الظلم، وحثيه على المساواة بينكما في كلّ شيءٍ، وأخبريه بأنك لا ترضين بفعله، ولا تُمكنِّيه من نفسك في الليلة التي ليست لكِ.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٠١٧).

وأخطر من ذلك، أنْ تُحرضيه على زوجته الثانية وأولادها، فهذا ـ والعياذ بالله ـ يَنِمُّ عن قلبٍ أسودَ مليءٍ بالحقد والغل.

والحساب عسيرٌ عند الله تعالى، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

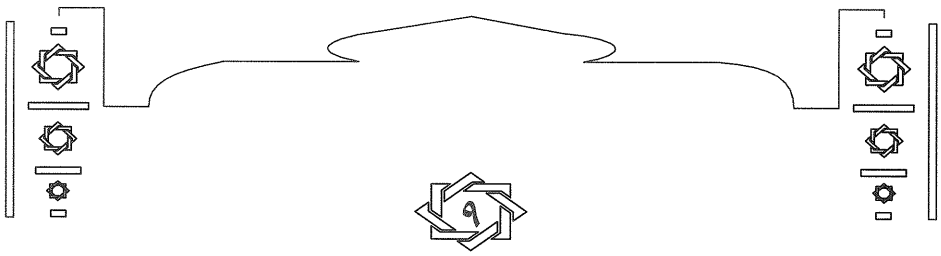

٩

عدمُ التعامل الصحيح في التركة والهبة

التَّرِكَةُ هي ما يُخلِّفُه الْمُتوفَّى من مالٍ أو متاعٍ أو عقارٍ ونحوه بعد وفاته.

ولَمَّا علم الله تبارك وتعالى أنَّ التركةَ أمرُها عظيم، وخطرُها جسيم، وأنَّ النزاع بسببها كثيرٍ وشنيع: تكفَّلَ سبحانه بتحديدها وتوزيعها، ولم يَكِلْها إلى عباده؛ لعلمه أنهم لن يُوزعوها بالعدل والإنصاف.

وكلُّ هذا الاهتمام لأجل الحفاظ على الترابط بين الأسرة، وإزالة أسباب الخلاف والشقاق بين الورثة، ولذا فإن الإسلام هو النظام الوحيدُ الذي يكفُل ويحمي حقوق الآخرين، ويقسم المال بينهم بالعدل، ويحافظ على الترابط الأسري، ويزيل أسباب الخلاف والمشاكل.

ومن أهمِّ أسباب القطيعة والمشاكلِ الأُسرية: الخلافات بين الورثة على التركات، وقد وصل الأمر إلى الشكاوى والتقاطع بل والقتل أيضًا.

وقد «ارتفعت معدلات قضايا الخلافات العائلية على الميراث في المحاكم الشرعية إلى أعلى مستوى يمكن أن نتصوره، حتى بلغت نحو (٢٣٣) قضية في عام ١٤٣٥هـ في المملكة العربيةِ السعوديَّة»[١].

«وكشف خبيرٌ في الشركات العائلية أن هناك قرابة (١٥) مليار ريال

(١) جريدة الاقتصادية، عدد: ٧٦٢٢.

مجمّدة في الشركات العائلية بسبب النزاعات بين أبناء العائلة»[١].

وأهمُّ أسبابِ الخلافات التي تقع بين الورثة بعد وفاة المورث ما يلي:

١ ـ الإجحافُ في الوصيةِ والهبةِ في حال الحياة، وذلك بتفضيلِ بعض الأبناء أو الزوجات بالهبات والهدايا دون البعض الآخر، فيحقدون على أبيهم، وعلى الذين فضَّلهم عليهم، وهذا من أعظم الخسارة التي يبوء بها الْمُورِّث.

والعدل في توزيع المال والهباتِ من أوجب الواجبات، وقد ثبت في «الصحيحين»[٢] عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأبيه: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**»، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي رواية: «**أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**».

٢ ـ عدمُ حصرِ أموال التركة بشكل دقيق، وعدمُ التوثيق عند كل صغيرة وكبيرة.

٣ ـ تَأَخُّرُ الوصيِّ أو الوليِّ أو أحد الورثة في تقسيم التركة، دون ضرورةٍ لذلك، مما يُسبب في وقوع المشاكل والخلافات العظيمة.

أو تَأَخُّرُ بعض الورثة في المطالبة بحقوقهم خجلًا أو تهاونًا، أو بسبب تعقيدِ الإجراءات الْمُتَّخذَةِ في ذلك.

٤ ـ غيابُ الوضوحِ والشفافية بين الْمُورِّثِ وورثته، فكثيرًا من الْمُورِّثين يموتون دون علم ورثتهم بدقائق وتفاصيل أموالهم.

---

(١) جريدة اليوم، عدد: ١٤٢٨٨.

(٢) البخاري (٢٦٥٠٩)، ومسلم (١٦٢٣).

٥ ـ عدم معرفةِ العلاقات بين الْمُورِّثِ وبين أبنائه الذين يعملون معه في شركته وتجارتِه، أو بينه وبين شركائه، مع اختلاط الأصول والعقارات الشائعة والأموال ذات المصادر المتعددة.

وبعضُهم يُفْصِحُ عن ذلك في آخر حياته، فيجمع إخوانه ـ الذين هُمْ أعمام أبنائه ـ ويَقْسِمُ العقارَ ونحوَه الْمُشْتَرَكَ بينهم، فيشعر بعضُ الأبناء بغبنٍ وهضم في حقوقهم، فتنشأ العداوةُ بينهم وبين أعمامهم، ناهيك عن عداوتهم لأبناء عمومتهم، وقد وقفتُ على مثلِ هذه القضايا.

٦ ـ ضعفُ صياغة الوصايا وغموضُها.

فلْيتق الله الْمُورث، ولْيأمر ورثته بالتَّآلف والتراحم والتعاطف بينهم، ولْيحذر من أنْ يُوصي بأكثر من الثلث، أو يوصي للورثة.

وينبغي أن يُبادر الورثةُ في تقسيم التركة بعد استكمال الإجراءات المطلوبة للقسمة، من حصرِ الورثة والتركة، وإنفاذِ الوصايا التي لا محذور فيها شرعًا.

والْكثيرُ من أموال الْورثة من أراضٍ وعقارات وأرصدةٍ بقيتْ مُجَمَّدةً ومُهْملةً، والقصص في ذلك كثيرةٌ يندى لها الجبين.

فمن القصص التي وقفتُ عليها: ما حصل لأحد رجال الأعمال الذي توفي، وكان قد خلَّفَ تركةً تُقدّر بمئات الآلاف، من بُيُوت وفُرشٍ وبُسط وأمتعة، وطال الزمن عليها، ولم يُحرّك أحدُ الورثة ساكنًا، حتى إنَّ الكثير من الأمتعة فسدت وتلفت، وهي تُقدّر بعشرات الآلاف، فبدلًا مِنْ أنْ يبيعوها ويقسموها على المحتاجين من الورثة وغيرِهم، أهملوها ليأكلَ عليها الزمنُ، وتكونَ طعامًا لدوَابِّ الأرض.

إنّ تعطيل كثيرٍ من الأملاكِ بعد وفاةِ أصحابِها، لَهِيَ ظاهرةٌ مُنتشرةٌ.

بل هُناك أملاكٌ مضى عليها عشراتُ السنين، تحتلّ مساحةً كبيرةً في وسط البلاد وعلى أطرافِها، ولم يستفدْ منها الأحياءُ ولا الأموات.

إنّ الورثةَ الذين لا يُبادرون إلى توزيع التركة، يكونون قد جنوا وظلموا الميّتَ، وبقيّةَ الورثة والمسلمين أيضًا.

فأما ظلمهم للميت، فبحرمانِه مِن الأجر الذي سيحصل عليه في قبره، من هذا المال، الذي سينتفع به الفقراء والمحتاجون من الورثة.

وأما ظلمهم لِبَقيّةِ الورثة، فبحرمانهم من نصيبِهم من التركة، وهم بأمسّ الحاجة إليها.

فكم في الورثة من فقيرٍ ومُحتاج، يُمنعون من حقّهم، بسبب تقاعس المسؤولين عن التركة، أو بسبب خلافاتهم.

فما ذنبُهم وما ذنبُ أبنائهم، يُحرمون حقًّا من حقوقهم.

وأما ظلمهم لِلْمُسلمين وعامّة الناس، فبحرماتهم، من عقاراتٍ وأراضٍ يستفيدون منها، فكم من شركةٍ سعت في شرائها، لِتَعمل عليها مشاريع تنفع البلاد والعباد.

وهناك أراضٍ زراعيّةٌ كثيرةٌ وكبيرة، يتمنّى كثيرٌ من رجال الأعمال شِراءها، لِإحيائها وتنميتِها ونفعِ الناس منها.

والواجب أن ينبري أحدُ أفراد الأسرة إلى المبادرة في تقسيم التركة، وسوف يحمد العاقبة في الدنيا والآخرة.

فَإنْ كانت التركةُ بيد أحدِ الورثة، وهو القائم عليها، فالواجب أنْ يتّقي الله تعالى، ولْيُبادرْ إلى تقسيمها على الورثة.

وينبغي على بقيّة الورثة أنْ يطلبوا منه القسمة، فإنْ لم يستجب، فلْيرفعوا أمره إلى القاضي؛ لِتُترعَ الوكالةُ منه.

فإلى متى تظل هذه التركات من أراضٍ وعقاراتٍ مُعَطّلة؟ أما في الورثة رجلٌ يأخذ زِمَامَ الْمُبَادَرة؟

وينبغي على كلّ من علم عن حال أمثال هؤلاء الورثة المهملين أنْ يُناصحهم بالحسنى.

والواجبُ على الجهات المختصّة أنْ يُولوا هذا الموضوع أهميّةً وعناية، وأنْ يُلزموا الورثة تقسيم التركة، فإنّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وقد «اتفق قضاةٌ ومحامون وقانونيون ورجالُ مالٍ وأعمالٍ على إيجابية توزيع الْميراث في حياة الْمُلَّاكِ؛ مُعَلِّلين ذلك، بالحفاظِ على الترابطِ الأسريّ بين الأبناء بعد وفاة المورِّث، وعدمِ اللجوءِ إلى المحاكم لِحَلِّ النزاعاتِ بينهم، وتركِ المجالِ أمامَ الورثة، للتّصرف بأموالِهم في وقتٍ مبكر؛ دون الحاجةِ إلى انتظارِ سنواتٍ طويلة.

واستشهدوا بالتجربة الناجحة لرجل الأعمال الشيخ «سليمان الراجحي» الذي وزع ثروته المستحقة شرعًا على ورثته في حياته، وترك له ثلث ماله أوقافًا خاصة يديرها، وفق تنظيم دقيق ومميز، طمعًا في استمرارها، وصرفها في أعمال الخير التي اشتهر بها، مؤكدين على أن لا يقتصر ذلك على ملاك المال والأعمال والعقارات، بل تأتي أهمية التوزيع حتى لرب الأسرة الذي يمتلك القليل من المال؛ حفاظًا على ورثته من التشتت والضياع؛ بسبب الخلافات بعد وفاته»[(١)].

وتقسيمُ التركةِ في الحياة على نحو ما ذُكر يُعتَبرُ من قبيلِ الهبة، لا مِن قبيلِ الإرث؛ لأنه ليس مالًا متروكًا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٢].

وعلى هذا، يَجري في هذا المال أحكامُ الهبة، وما يكون من الهبة في المرض الْمَخُوفِ الذي لا يُرجى بُرْؤُه، ومَنْ كان قصدُه حِرْمانَ أَحَدِ الورثةِ لا تَجْري فيها الهبةُ.

(١) جريدة الرياض، عدد: ١٥٥٨٢، نُشر يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

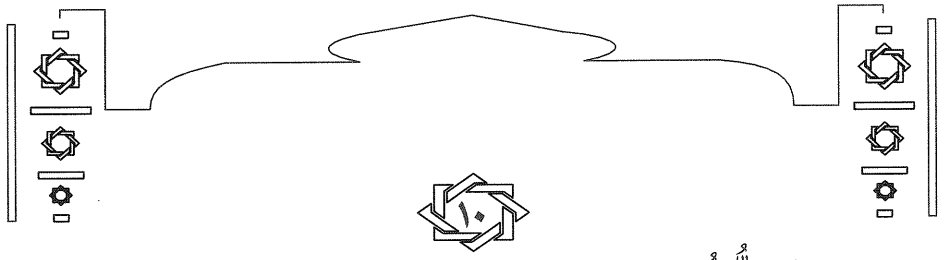

١٠

تَدَخُّلُ الآباء والأمهات في خِلافات الأبناء

غالبًا ما تَحْدُثُ الخلافاتُ بين الإخوةِ والأخواتِ داخلَ البيت الواحد، بسبب أبنائهم الصغار، ومن البَدَهِيّ[1] أنْ يحصلَ سوءُ تفاهمٍ وخلافاتٌ بين الأبناء أو البنات، بل ربَّما الزوجات، لكن الطامة الكبرى أنْ يَتَدَخَّلَ الكبار كالآباء مثلًا، لحماية أبنائهم أو زوجاتهم والدفاعِ عنهم، بطريقةٍ تُثير حفيظةَ أحدِ إخوانه أو أخواته، حيث إنهم يرونه يُدافع عن ابنه أو عن زوجته لا عن الحق، فحينها ينشأُ الخلافُ بين الكبار، حتَّىَ يَصِلَ إلى الهجرِ وقطيعةِ الرحم بينهم - وهي التي أمر الله بها أن توصل - بسبب سوء تفاهمٍ كان من الممكن علاجُه، بأسلوبٍ حكيمٍ وطريقةٍ سهلة.

وتدخُّلُهم يكون محلَّ تهمةٍ ومحاباةٍ غالبًا، فالواجب إذا لزم الأمر، أنْ يُحكِّموا طرفًا آخر يرضاه الجميع.

ومن المعلوم أنَّ الصغارَ كثيرًا ما يغضبون ويتخاصمون، وسرعان ما يرضون ويتصالحون.

---

(١) البداهة: بضم الباء وفتحها: أوّل كل شيء وما يفجأُ منه، والاسم: البَدِيهةُ، وبَدَهَهُ بالأمر فاجأه، وفي صفته ﷺ: «من رآه بَدِيهَةً هابَهُ»؛ أي: مُفاجأَةً وبغتة؛ يعني: من لقيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه وإذا جالسه وخالطه بان له حسن خُلُقِه، وفلانٌ صاحبُ بَدِيهَة يصيب الرأْي في أَول ما يُفاجَأُ به. لسان العرب: مادة: (بده).
وإذا أردتّ النسبة هل تقول: بَدَهِيّ أو بَديهِيّ؟ فيه خلافٌ، ولعل الأفصح الأول، ومثل هذا: طبعيّ لا طبيعي، ورئيس، لا رئيسيّ.

ولكنَّ المصيبة في الآباء والأمهات الذين يَغضبون لأبنائهم متى يتصافون ويرضون، إذا هم تدخلوا وتخاصموا لأجلهم!.

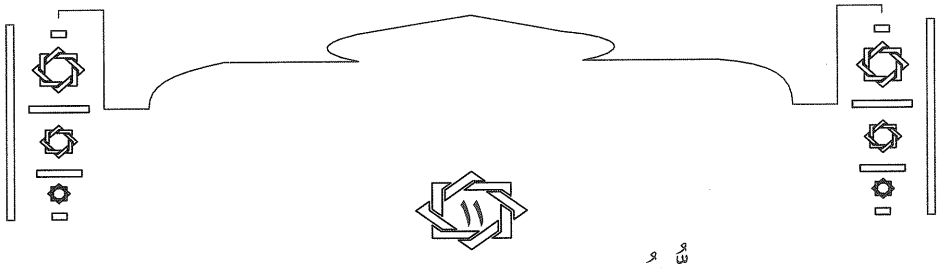

١١

تدخُّلُ الرجال في خلافات النساء

كثيرًا ما تحدُث خلافاتٌ بين النساء، فربما وقف الزوجُ مع زوجته، والأخ مع أخته، والأب مع ابنته، فيزيدون الطين بِلّة، والْمُصيبةَ بليَّةً والجرحَ اتِّساعًا.

ووقوفُهم محلُّ تُهمةٍ عند الخصوم، مهما كانتْ أمانةُ ومكانةُ الذي وقف ودافع عن قريبته ـ إلا من شاء الله ـ.

فينبغي في هذه الحالةِ ألا يتدخّل الرجل مُباشرةً في دفاعه عن قريبته، ولو لاح له الحق واضحًا معها، ولكنْ يَكِلُ الأمر إلى طرفٍ آخر غيره، ممَّنْ له خبرةٌ ودينٌ وعقل، فيستقصي الأمر، ويجمع بين النساء الْمُختصمات، فيُصْلح بينهنّ.

واعلمْ أيها الرجل: أنَّ العاقل والحكيم لا يُعرف إلا عند حلول المصائب التي تطيش منها عقول الجهال والحمقى والضعفاء.

فكنْ عند الْمُصيبةِ في غاية الحلم والأناة والترويّ، واحذر من الطيش والعجلة؛ فإنها تُؤدي إلى المفاسد والأضرار غالبًا.

أيها الرجل، قد يُقبل أنْ تكونَ المشكلةُ الأُسريةُ من النساء؛ لأنهنّ ناقصاتِ عقلٍ ودين، ولكنْ كيف يسوغُ أنْ تكون المشكلةُ الأُسريةُ من قِبَلِك، وأنت إلى رجاحةِ العقل أقرب؟.

فالرجل قد أعطاه الله تعالى رجاحةً في عقله، مقابل النقصِ في

عقل المرأة، ليس ليفخر به، فهذا نقصٌ وحمق وسفه، بل ليُعْمِلَ رجاحةَ عقله مع ما نَقَصَ مِنْ عقلها؛ ليستعين به في علاج نقصها، وتعديلِ اعْوجاجها.

فأكثر النساء من طبعهن القيل والقال، والعجلةُ وقلَّةُ الحكمة في الغالب، فإن لم يتعامل الرجل الراجحُ العقل بحكمةٍ ورويةٍ مع تصرفاتهنّ الناشئةِ من قلة عقولهن وضعفهنّ، فما ميزةُ رجحانِ عقله حينئذ؟؟.

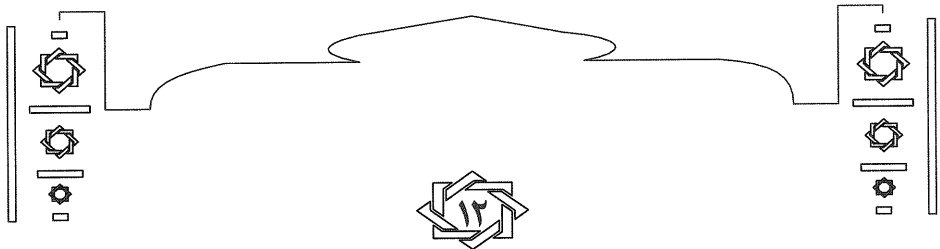

١٢

أهلُ النَّميمةِ، والاستماع لهم وتصديقهم

لا يُتصوَّرُ مدى الأثر السيء، والعاقبة الشنيعة، التي يُحدثها النمَّام ـ وهو الذي ينقُلُ للآخرين ما قاله الناس عنهم بغرض الإفساد ـ، والمصيبةُ الأخطر السماحُ للنفس بالسماع له وتصديقه.

كم عمل هذا الداءُ العضال فتكًا وإرْجافًا في مُجتمعات النساء، كم هي المشاكل الكبيرة التي سبَّبها النمام والاستماع له!.

ومن أهمِّ الأمور أنْ لا نستمعَ لطرفٍ واحدٍ، مهما كان صِدْقُه وأمانته، بل لا بدَّ أنْ نستمع من الأطراف جميعا، لتتضحَ الصورة، ونسلمَ من الجور والظلم.

ويا مَنْ حُمِلَتْ إليك النميمة، وقيل لك: إنَّ فلانًا قال فيك كذا وكذا، سمعتُ فلانًا يقول عنك كذا وكذا، فيجب عليك تجاه هذا النمام ـ مهما كان ثقةً عندك ـ عدَّةُ أمور:

أولًا: ألا تُصدقه؛ لأن النمام فاسق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦].

ثانيًا: أن تزجرَهُ عن ذلك وتنصحه، وَتُقَبِّحَ لَهُ فِعْله وتُشنِّعَ عليه عمله السيء.

ثالثًا: أن تُبغضه في الله تعالى إِنْ لَمْ يَنْزَجِر.

رابعًا: ألا تظن بأخيك السوء، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

خامسًا: ألا ترضى لنفسك ما نهيتَ عنه النمام، ولا تحكِ نميمته فتقول: قد حُكى لي كذا وكذا، فتكونُ به نمامًا ومغتابًا.

بل ينبغي لك أنْ تُقابل قريبك الذي جاءك كلامٌ عنه، وتقول له: يا فلان، لقد سمعت أنَّك تقول عني كذا وكذا، وأنا لا أصدق ذلك أبدًا، فأنا أثق بك ولا أثق بمن نقل لي هذا الكلام، ولكن ليطمئنَّ قلبي.

واحذر أنْ تقول لمن نقل لك كلامًا عن أحد: بأنه ثقةٌ عندي، فلو كان ثقةً ما عصى الله بنقل الكلام.

ويجب على القريب ألا ينقل لقريبه كلامًا ـ فيه قدحٌ وسبٌّ ـ قاله أحد الأقاربِ عنه، بل يجب أنْ يُناصِحَه ويُحذره من الغيبة.

ولْيستحضر وَعِيْدَ النبيّ ﷺ النَّمامَ بالحرمان من الجنة حيث قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**». متفق عليه[(١)].

فنقل الكلام لا يجوز شرعًا ولا عقلًا ولا مُروءةً، إلا إذا كان لمصلحةٍ راجحة[(٢)].

فاتقوا الله أيها النَّمامُون، اتَّقين الله أيَّتُها النَّمامات، فأنتم سبب فسادِ كثيرٍ من البيوت، بنقلكم الكلام بين الأقارب.

كم هي الآثام والذنوب التي اكتسبتموها! كم هي العداوات والخصوماتُ التي سببتموها!.

أنتم سبب العداوات والْمآثم، وأنتم أساس الفتن والْمظالم، ولعظم

---

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٢) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص١٢٨ (بتصرف).

هذه الجريمة التي تلوثتم بها، فقد توعدَّكم النبيُّ ﷺ بالحرمان من الجنة فقال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**». متفق عليه[١].

والنَّمام من أكثر الناس فسادًا وضررًا.

قال يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى: يُفْسد النمام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر[٢].

وأصل النميمة هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد وكشف الستر وهتكه.

وكم تعمل النميمةُ عملها في مجتمعاتنا ـ وخاصَّةً بين النساء ـ وكم هي شُغْلهن الشاغل.

تسمع فلانةٌ من أحدٍ كلامًا أو نقدًا أو سبًّا لأحدٍ من قريباتها أو صديقاتها، فتستمع لها، وتُظهر لها التعجُّبُ من كلامها، ولا تنصحها بالكف عن الغيبة، والْتماس العذر لصاحبتها، ثم تزيد الطين بلَّةً بالذهاب إلى الْمَرأةِ الْمُتكلَّم عليها فتنقل لها ما قالته فلانةٌ عنها!.

فتنشب الخلافات والمشاكل بسبب هذه الفاسقة النمامة.

وأكره ما يكون، حينما تقول لها النمامة: أنا أقول لك هذا، وأنقل لك كلامها فيك نُصحًا وحبًّا لكِ!، فلا تُخْبِريها أني أنا مَن نقل الكلام.

فالنمام هو إنسان ذو وجهين، يقابل كلُّ أحدٍ بوجه، فهو كالحرباء يتلون بحسب الموقف الذي يريده، وقد حذر النَّبِيُّ ﷺ من هؤلاء فقال:

---

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٢) الحلية (تهذيبه) ١/٤٥٦.

«تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ». متفق عليه[١].

فالمؤمن الصادق، والْمُؤمنةُ الصادقة: لا يكون له إلا وجهٌ واحد حيثما كان، وليس له إلا لسان واحد، لا ينطق إلا بما يرضي ربه ﷻ.

(١) البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

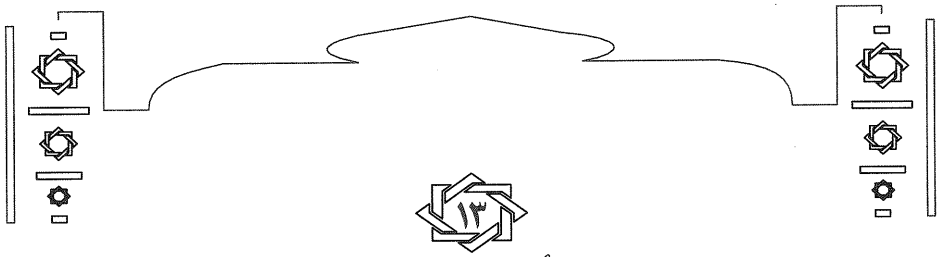

١٣

القيل والقال، ونقلُ الشائعات، وكشفُ الأسرار

ما أقبح أنْ يشتغلَ الإنسانُ بالقيل والقال، وهو الكلام فيما لا يعنيه؛ فإنَّ مِن حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ومَن لَّا يملك الشَّفتين يُبْلَى بسوءِ الَّلفظ من قيلٍ وقال

وقد أضاع الكثير من الرجال والنساء أوقاتهم بالقيل والقال، وليتهم ينجون منه كَفَافًا لا لهم ولا عليهم، ولكنّ الطَّامة أنهم يقعون في كثيرٍ من المعاصي كالغيبة والنميمة والاستهزاء.

قد صَرَفْنَا العُمْرَ في قيلٍ وَقال يا أُخيَّ قُمْ فَقَدْ ضَاقَ الْمَجَالِ

ولأجل ذلك حذَّر النَّبيُّ ﷺ من ذلك فقَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**». متفق عليه[1].

والنهيُ عن قِيلَ وَقَالَ يشمل أمورًا منها:

- كَثْرَة الْكَلَام؛ لِأَنَّه يُؤدّي إِلَى الْخَطَأ والزلل، وكَرَّرَهُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي النّهي عَنْهُ.

- حِكَايَة أَقَاوِيل النَّاس وَالْبَحْث عَنْهَا لِيُخْبِر عَنْهَا، فَيَقُول: قَالَ فُلَان كَذَا وَقِيلَ كَذَا، دون تثبّتٍ وتحقّقٍ، أو يحكي كلامهم بلا فائدة من ذلك، وإنما للتحريض أو إيغال صدور الناس عليهم.

---

(١) البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

وَيُؤَيِّد ذَلِكَ الْحَدِيث الصَّحِيح: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِم.

وخطرُ الإشاعات لا يقل عن خطر القيل والقال، وربما قامتْ مُشكلاتٌ وخصوماتٌ بسبب ذلك.

فالكثير من الناس ـ وخاصَّةً النساء ـ لا يكادون يسمعون خبرًا إلا أذاعوه، دون تحقُّقٍ وتأكُّدٍ من ذلك.

وربما جزموا بصواب الخبر، وقد يكون الخبر الذي نُقل هو خبرٌ وشائعةٌ لا أساس له من الصحة عن قريبهم، فتزدادُ المصيبة، فإذا وصل إلى القريب ما قيل فيه، وممَّن؟ من قريبه أو قريبته، فحينها تنشأ الخلافات، وتحصل المقاطعات.

والواجبُ على كلِّ عاقلٍ أنْ يُغْلقَ باب الشائعات والقيلِ والقال، ولا يتسرعَ في قبول وتصديقِ ما يُنقل قبل التأكد من صحته وسلامة مصدره.

وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**». رواه مُسلم[1]

ومن أعظم أسباب الخلافات الأُسرية: إذاعةُ الأسرار ونشرها.

إنه حينما يخون من ائْتُمن في حفظ السرّ، فيبوح به وينشره، فقد فتح بابًا كبيرًا من الخلافات والمشاكل، وتسبب في جلب العداوة والبغضاء.

وحفظُ السِّرِّ من أعظم الأمانة، ونشرُه من أعظم الخيانة، وما أودع القريبُ سرَّه لقريبِه إلا حينما ائْتمنه ورآه محلًا للثقة، فهل يليق به أنْ يَخُونه ويضرَّه؟.

---

(١) في مُقدّمته، (بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ).

ولا بد للإنسانِ أنْ يبوح بأسراره لقريبه أو صديقه، ويكشفَ له عن دقائق حياته كما قال الشاعر[١]:

ولا بُدَّ من شَكْوَى إِلى ذي مُروءَةٍ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أو يَتَوَجَّع

فلا يليق بذي المروءَةِ أنْ يُذيع أسرار قريبه أو صديقه، ويُشيع خواصَّ حياته، ويستهين بكلامٍ خصَّه به دون غيره.

فهذه الآفاتُ الثلاثة: القيل والقال، ونقلُ الشائعات، وكشفُ الأسرار: جماعها وسببها واحد، وهو عدم حفظ اللسان، والصبرِ على السكوت إلا حين يتبيَّنُ صوابُ الكلام.

(١) ديوان بشار بن بُرد، ص٩١٤.

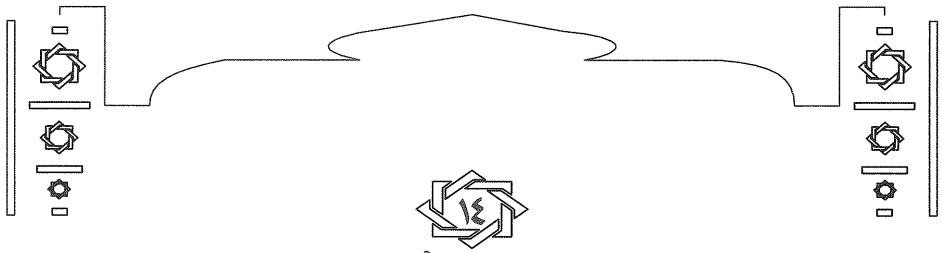

١٤

سوءُ الظنّ، وعدمُ الْتماسِ الأعذار

ما أحوجنا لِحُسنِ الظنّ بالآخرين، والْتماسِ الأعذار لهم، فبِه يسلمُ القريبُ من التَّحامل على قريبه، ويسلمُ الخاطرُ من الْمُكدِّرات والْمُنغِّصات.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إذا سمعت كلمةً من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملًا[١].

وما أحسن ما قيل:

تأنَّ ولا تعجلْ بلومِك صاحبًا ... لعلَّ له عذرًا وأنتَ تلُوم

توفي ابنٌ ليونس بن عبيد رحمهما الله تعالى فقيل له: إنَّ ابن عون لم يأتك. فقال: إنَّا إذا وثقنا بمودةِ أخٍ لا يضرنا ألا يأتينا![٢].

يا له من جوابٍ سديد، وردٍّ رشيد، من رجلٍ فَقَد صاحبَه في أحْلك الظروف، وهو موتُ ابنه وفلذةِ كبده، ومع ذلك لم يحملْ عليه في خاطره، ولم تَنْزلْ مودَّتُه من قلبه، ولم تَهتزَّ ثقتُه به من نفسه.

والواجبُ أنْ نُحسن الظن بالآخرين، وخاصَّةً بأقربائنا الذين قد وثقنا بمحبَّتهم، وتحقَّقنا من صِدقهم.

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

(٢) الصداقة والصديق، ص١٣٦.

كم اتَّهم بعضُ الناس قريبه دون أنْ يَتيَقَّن ويتأكَّد من ذلك، كم اغتاب وحكم على نيَّاتِ الآخرين، بسبب موقفٍ أو كلامٍ يحتمل أوجهًا كثيرة، ولكنه لا يأخذ إلا بأسوأ الأوجه والاحتمالات.

أين هو من قول سلَفِنا الصالحِ رحمهم الله: إذا بلغك عن أخيك شيْءٌ تكرهه، فالتمس له العذْر جُهدَك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه[1].

يا لها من قاعدةٍ عظيمة، ونصيحةٍ سديدة، ووالله لو طبقناها لزالتْ أكثرُ مشاكلِنا وخلافاتنا.

واعلم ـ أيها الأخ وأيتها الأخت ـ أنَّ الْمَقصودَ بالظنِّ الْمنهيِّ عنه: أنْ تتَّهم أحدًا بلا بيِّنةٍ أو قرينةٍ مُؤَكَّدة، كمن يتهم أحدًا بأنه فاسقٌ أو مُنافق، أو مُتكبِّرٌ أو بخيلٌ أو نحوُ ذلك.

وهذا الظنُّ إنما هو إثمٌ وذنبٌ على صاحبه، قال العلامةُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى: اعلم أن سوءَ الظن حرامٌ مثلَ سوءِ القول، فكما يحرم عليك أنْ تُحَدِّثَ غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تُحَدِّثَ نفسك وتسيءَ الظن بأخيك.

والظن: عبارةٌ عمَّا تركن إليه النفس، ويميل إليه القلب.

وكما يجب عليك السكوتُ بلسانك عن مساويه، يجب عليك السكوتُ بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوءُ الظن غيبةُ القلب، وهو منهيٌّ عنه أيضًا، وَحَدُّهُ: ألَا تَحْمِلَ فِعْلَهُ على وجهٍ فاسد، ما أمكن أن تحمله على وجه حسن. ا.هـ[2].

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٦٨، موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٧، ٣/ ١٥٠.

وما أكثرَ ما يطرق مسامعنا في مجالسنا وبيوتنا: فلانٌ قصد بكلامه كذا، وفلانٌ يعني بتصرُّفه كذا، وفلانٌ ما فعل كذا إلا رياءً ونفاقًا، وهذا دخولٌ في النيات، وهو خطيرٌ وإثمٌ عظيم.

إذا حلَّ سوءُ الظن في النفوس، أدى بها إلى الاتهام المتعجل، وتتبع العثرات، والْتقاطِ الهفوات والزَّلات.

والكاسب الوحيدُ هنا هو إبليسُ نعوذ بالله منه.

يا أخي ويا أُختي: إنَّ علمَ ما تُكِنُّه النفوسُ وتُخفيه، والمحاسبةَ عليها هي ممَّا اخْتصّ الله ﷻ به، فهو الذي يعلم السر وأخفى، أما نحن، فليس لنا من إخواننا إلا ما ظهر من عملهم، وما بان من أقوالهم وأحوالهم، ولم نُكلَّفْ ببواطنِ النيَّات ولله الحمد، وهذا ما تربَّى وربَّانا عليه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، فقد روى البخاريُّ في «صحيحه»[1] عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه قال: إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ[2]..

(١) (٢٦٤١).

(٢) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص٥٥ ـ ٥٦ (بتصرف).

علاج سوء الظن

وبعد أنْ تعرَّفنا على خطر الظنِّ السيئِ وقُبحه وإثمِه، بقي علينا أنْ نعرف أسباب تجنُّبه والخلاصِ منه، وهي كما يلي:

أولًا: أنْ يدعو ـ المصاب بسوء الظن ـ اللهَ دائمًا بألا يجعل في قلبه غلًا للذين آمنوا، فسوء الظنِّ هو أعظمُ أسباب الغل والحقد على الناس.

ثانيًا: أنْ يُصارح مَن وجد في نفسه عليه، أو اعتقد فيه أمرًا يُضايقه، فالْمُصارحةُ تُزيل آثار الحقد والغل، والظَّنِّ والوهم، فكم مِنْ إنسانٍ ظنَّ بأحدٍ ظنًّا سيِّئًا، فلمَّا صارحه بذلك تبيَّن لهُ أنه واهمٌ في ظنِّه، فارْتاح فؤاده، ونجى من الإثم جرَّاءَ ظنِّه، وَقَطَعَ على الشيطانِ وساوسَه التي يقذفها في قلبه، فتُؤرِّقَه وتُوجد عنده سوء الظنّ.

ثالثًا: أنْ يُحسن الظنَّ بالناس، ولا يُشغلَ نفسه بمقاصدهم ونيَّاتهم، ولْيُفَكِّرْ طويلًا قبل أن يَحكم أو يَتَّهم، ولئن تُخطئ بحسن الظن أهونُ من أن تُخطئ بالتسرع بسوء الظن.

رابعًا: أنْ يلْتمس المعاذير للناس، ويتركَ تتبعَ العورات، واقْتناصَ الزلات.

خامسًا: أنْ يدعو لمن ساء ظنُّه به، وأنْ يُحسن مُعاملته معه، قال العلامةُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى: وإذا خطر لك خاطر بسوءٍ على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاتِه وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك الخاطرَ السوءَ خوفًا مِن اشتغالك بالدعاء. ا.هـ[1].

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص٦٠.

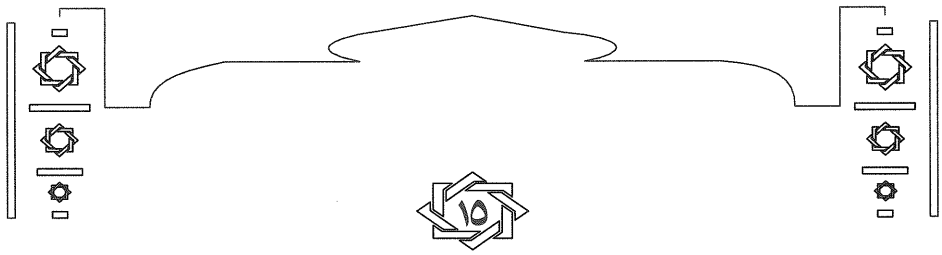

١٥

تضخيم المشكلة وإعطاؤها أكبرَ من حجمها

كم من مُشكلةٍ صغيرةٍ أصبحتْ مُعضلةً ومُصيبة، بل أكثر المشاكل والخلافات كانت تافهةً وصغيرةً في بدايتِها وأصلها، ولكنَّها تضخَّمتْ وعظُمتْ بسبب قلةِ الحكمة في مُعالجتها.

بل إن بعض الناس قد يختلق مشكلةً مِنْ لا شيء، إما بسوء ظنِّه، أو لاستماعه لطرفٍ دون آخر، أو لِحُكْمِهِ على أحدٍ دون أن يسمع منه.

فالعاقل يستطيع إذا حصلتْ مُشكلةٌ أنْ يحصرها لئلا تكبر وتعظم، ويُبادرَ في علاجها لا تَهْيِيجِها.

ومن أهمّ الأسباب في حصر المشكلة وتصغيرها:

١ ـ الاستشارة، وذلك بأنْ يستشير من حصلتْ له مُشكلةٌ عاقلًا مُجرِّبًا، عارفًا حكيمًا.

والاستشارةُ لا يستغني عنها أحدٌ مهما كان ذكاؤه وعلمه، وهذا ربنا جلَّ وعلا يأمر نبيَّه ﷺ بأنْ يَسْتشير أصحابَه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإذا كان النبي ﷺ قد أمره الله تعالى باستشارة أصحابه، وهو الملهم الْمُوحى إليه، فكيف بغيره؟.

والمشورةُ هي ديدَنُ الحكماء والعقلاء، ولا يَستغني عنها الكبراءُ والفضلاء.

فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى استشار في قوم يستعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العُذْر. قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم، وإن قصَّروا قال الناس: قد اجتهد عمر[١].

فانظر إلى نتيجة المشورة: هذه الحكمة البليغة.

ولا يَعْدم مَن استشار خيرًا ونفعًا، ومكانةً وفضلًا.

قال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم[٢].

الرأيُ كالليلِ مُسْودٌ جوانبُهُ والليلُ لا ينجليْ إلا بإصباحِ
فاضممْ مصابيحَ آراءِ الصِّحابِ إلى مِصباحِ رأيِكَ تزددْ ضوءَ مصباحِ

ومن أعظم ما تجنيه إذا اسْتشرتهم: رفعُ اللوم عنك لو أخطأت.

فإنْ هلكتَ برأيٍ أو ظفرتَ به فأنت عند ذوي الألباب معذور

٢ ـ أنْ يبحث عمَّن يبوح له، ويبثُّ له همَّه وما حصل له، فإنَّ البوح من أعظم ما يُخفف الْمُصيبة، ويُزيلُ أثَرَها من القلب.

تقول إحدى الأخوات: كثيرًا ما أُصاب بهمومٍ ومشاكل زوجيَّةٍ وأُسرية، فأُبادرُ إلى إحدى الأخوات فأبثُّ لها مُشكلتي، ولا أذهب إلى أحدٍ غيرِها لما كانت تتميَّزُ به من حُسن الاستماع والإنصات، فلا تزيد على نُصحي بالصبر والاحتساب، فما إنْ أُغلق السماعة إلا وقد ذهب جميع ما أجده، بل وأجد ضميري يُؤنبني خشية أنْ أكون قد اغتبتُ مَنْ وجدّتُ عليه، فإذا قابلتُه طلبتُ منه أنْ يُسامحني ويُحلِّلني!.

---

(١) عيون الأخبار ١/ ٦٠.
(٢) عيون الأخبار ١/ ٧٣.

٣ ـ الأناةُ والرفق، وتركُ العجلة، والبعدُ عن التهوّر، والتفكيرُ بتعقُّلٍ في الخطوات التي سيتخذها.

٤ ـ عدمُ نشرِ الخبر، وذكرِه في المجالس.

٥ ـ أنْ يُهوّنها في نفسه، وألا يُفكر فيها مليًّا، وهذا من أهمّ الأمور في علاج المشاكل والهموم وضغوط الحياة.

والواقع أنَّ أغلب وأكثر الأخطاء ـ مهما عظمت في نظرنا ـ هي عند التجرد والتعقل ليستْ بالحجم الذي نشعر به وقتَ حصولها، ولكنْ لأن الشيطان وقتها مشغولٌ بتهويلها وتضخيمها، وتذكيرِه بسوابق قديمةٍ لصاحب الخطأ، فلا يكاد يرى الخطأ إلا أكبر من الجبل، وأمرّ من الحنظل.

«وَمَتَى رَسَخَ الْوَهْمُ فِي النَّفْسِ صَعُبَ انْتِزَاعُهُ عَلَى الْعُقَلَاءِ الَّذِينَ يَتَعَاهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّرْبِيَةِ الْحَقِيقِيَّةِ دَائِمًا، فَكَيْفَ حَالُ الْغَافِلِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمِ، الْمُنْحَدِرِينَ فِي تَيَّارِ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ الشَّائِعَةِ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَصِيرِهِمْ، وَلَا يَشْعُرُونَ فِي أَيِّ لُجَّةٍ يُقْذَفُونَ»[1].

٦ ـ أنْ يجعل هناك احتمالًا أنْ يكون الخطأ منه، ولو بنسبةِ ١٪، ولْيلْتمس العذر ويُحسن الظن.

(١) تفسير المنار ٢/ ١٣١.

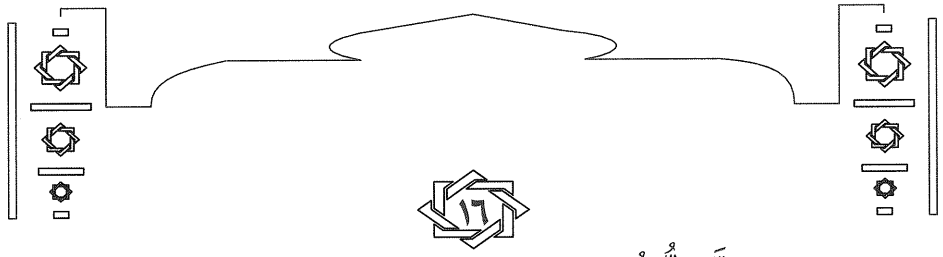

١٦

التَّدَخُّلُ في حياةِ وشؤون الآخرين

من أعظم المشاكل التي تحصل بين أُسَرِنَا: تدخل بعض الأقارب في خُصوصيَّات بعضهم، ومن ذلك تدخل الأم أو الأب أو الإخوة أو الأخوات في حياة وخُصوصيَّات الابن أو زوجته.

ولا بدّ أنْ يعي الآباءُ والأمهات، أن برّ أولادهم لا يعني أنْ يتدَّخلوا فيما لا يخصُّهم ولا ينفعهم.

وقد قَالَ ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(١).

فكلُّ أحدٍ له خُصوصيَّاتٌ لا يرضى لأحدٍ بأن يطَّلع عليها، أو يُدخل نفسه فيها.

وبعضُ الأقاربِ لا يَهْنَأُ لهم بال، ولا يقرُّ لهم قرارٌ حتَّى يعلموا عن تفاصيل حياةِ قريبهم، ويعلموا أينْ ذَهَبَ، ومع مَن ذَهَبَ!.

ولو علموا أنَّ راحةَ البال في عدم التدخل في خصوصيَّاتِ الآخرين، والتنقيبِ عن أسرارهم، لَمَا شغلوا أنفسهم بهذا الخلق الذميم.

وما أجمل ما قاله أحدُ السلف: الْحَزْمُ حِفْظُ ما كُلِّفْتَ، وَتَرْكُ ما كُفِيتَ(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٥٩١١).

(٢) مجمع الأمثال (١٠٨٧).

نعم، الحزمُ والعقل أنْ تَحفَظ ما كُلِّفْتَ به وأُسند إليك، وَتَتْرُكَ وتدع ما كُفِيتَ.

قال عُمَر بْن الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْغَيِّ، أَنْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ»[1].

نعم، إنَّ تدخُّل القريب في شيءٍ لا يعنيه، وليس من واجباته وحقوقه: لهو غيٌّ وعُدوان، حيث بغى واعتدى على حقوق الآخرين وخصُوصيَّاتِهم.

وهل يرضى أحدنا أن يتدخَّل أحدٌ في أموره الخاصّة؟ وما موقفنا لو تصرَّف أحدٌ من الناس في مقرّ عملنا، وصميمِ شُغلنا بدون إذننا ورأينا؟

فلا ينبغي أنْ يتدخل أحدٌ في زوجة الابن، لا الأمُّ ولا أخواتُ الزوج ولا غيرُهم.

إن قامتْ بأعمالٍ وخدماتٍ لأهل زوجها، فهذا عملٌ تُشكَرُ عليه، وإن لم تفعل إلا ما يخدم زوجها، فلا يحقُّ لأحدٍ أن يلومَها أو يُعاتبَها.

وبعضُ الأخوات تُكثر من السؤال والبحث عن زوجة الأخ، أين ذهبت، ولماذا لم تحضر اليوم، وهكذا.

وهذا خطأ وتدخُّلٌ فيما ليس من حقها، ومن نزغات الشيطان التي تكون بذرةً للأحقاد وإثارةِ المشاكل بلا مُبرِّر.

(١) شعب الإيمان (٤٦٤٢).

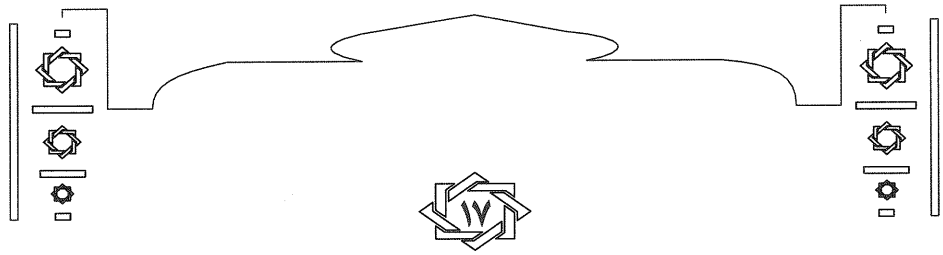

١٧

سَكَنُ الابن مع والِديه وإخوانه إذا تزوج

كان آباؤُنا يعيشون في بيتٍ واحدٍ صغيرٍ مع زوجاتِ أولادِهم، لا يشكون الضيق والحسد، ويندُر أنْ تقع الخصومةُ بين أحدٍ منهم.

أما الآن، فالوضع تغيّر تمامًا، فلا يكاد يحتمل القريبُ من قريبه الخطأ ونحوَ ذلك، ولا يحتملون العيش في بيتٍ واحدٍ مهما كانت سعَتُه.

ولذا، لا بدّ من علاجِ هذه الظاهرةِ بحكمةٍ.

وإنّ النَّاظر في حال الأُسَر والبيوت، يجد أنَّ الكثير من المشاكل مَنْشؤها وبِدايَتُها مِن سَكَنِ الابن في بيت الوالدين بعد زواجه، وهما ليسا بحاجةٍ ماسَّةٍ له.

فإصْرار الوالدين على سَكَنِ الابن في البيت إذا تزوج، والبيتُ مُمْتلئٌ بإخوانه أو أخواته، ويشتركون في البيت سويًّا، دون أنْ يكون للزوجين قسمٌ مُنعزلٌ في البيت، قد يكون له عواقبُ وخيمةٌ، وأضرارٌ جسيمةٌ.

فيحدث الخلاف غالبًا بين الزوجة والأم، بسبب غيرتها على ابنها، واعتقادها بأنه يميل مع زوجته أكثر منها.

أو بين الزوجة وبين أخوات الزوج، بسبب اعْتقادهنّ أن الزوجةَ مُطالبةٌ بالعمل في البيت كما يعملنْ، والطبخ والتنظيف كما يفعلن.

وهذا من الخطأ الجسيم، فالزوجة ليس عليها إلا خدمةُ زوجها،

ورعاية حقِّه، وإنه من قلَّةِ المروءةِ مُطالبة الزوجة ـ وهي الضيفة في البيت ـ بالعمل والكدّ لغير زوجها.

إنّ الأب العاقل، والأم العاقلة: هما اللذان يُهيِّئان المكان والجو المناسب لابنهما وزوجته، وذلك باسْتقلالهما وأخذ راحتهما في حياتهما.

واسْتقلالُهُما لا يعني بُعدهما عنهما، ولكن يكون بجعل جانبٍ من البيت مَعزولًا ومُسْتقلًا بكامل احْتياجاته، وبينهما بابٌ، فمتى أرادا المجيء إليهما جاءا في الوقت المناسب.

وإنِّي لا أُحصي المشاكل والخلافات العميقة ـ والتي وصلتْ إلى حدِّ التقاطع والتهاجر والطرد ـ إنما كانت بسبب هذا الإصرار من قِبل الوالدين أو أحدهما في جلوس الابن معهما وهما في غنى عنه.

ومهما أظهرتْ الزوجةُ الرضى في الجُلُوسَ في بيتِ أهلِ زوجها، إلا أنَّها في قرارةِ نفسها، وسويداءِ قلبها، ترغب أنْ تستقلَّ في بيتٍ يكون مُلْكًا لها، تفعل فيه ما تشاء، ولا يُحاسبها أحدٌ على أيِّ شيءٍ تفعله.

وكثيرٌ مِنَ الأبناءِ لم يذوقوا طعم البِرّ، وكثيرٌ مِنَ الأباء لم يشعرْ بِمَحَبَّةٍ وشوقٍ لابنهما، إلا حينما خرج من البيت.

قال أحدهم لي: خرجتُ من البيت حينما عظمت الخلافات والمشاكل بين الزوجة والأهل، وتأثرتْ علاقتي مع أمي، وما إنْ خرجت حتى وجدت الشوق والأنس بأمي بشكلٍ لا يخطر على بال، وأصبحت أمه تحنو عليه، وتُحبه محبَّةً عظيمة، بعد أنْ كادتْ أنْ تطرده من بيتها!.

بل ويحلف لي بأنَّ أُمَّه أغْلى عنده من جميع أبنائه.

وأما إذا لم يكن في البيت إلا الأم أو الأب فقط، دون الأخوات أو الحموات، فلا ينبغي للابن أنْ يخرج من البيت ويدعهما وحدهما.

ولو أرادت الزوجةُ تغيير البيت واسْتبداله فلا ينبغي على الأم أو الأب أنْ يمتنعا، ويقولا لن نخرج من هذا البيت، ولا نستطيع العيش في غيره.

وفي حالِ جلوس الابن مع والديه وسكنه معهما، ينبغي على إخوان وأخوات الزوج ما يلي:

١ ـ عدم التدخل في شؤون البيت أبدًا، فكثيرٌ منهم يلوم ويُعاتب الابن أو الزوجة على بعض ما يحصل في البيت، وربما اشْتكت الأم بعض القصور، فيُبادرون في اللوم والعتاب.

وهذا خطأٌ من وجوه:

أولًا: أنهم لم يسْمَعوا من الطرف الآخر، ومهما كان قدر الأم أو الأب كبيرًا وعظيمًا، لا يجوز الاستماعُ لهما وحدهما، دون سماع وجهة نظر الابن أو زوجته.

ثانيًا: أنَّ الواجب عليهم تخفيفُ مُصابِ الأمّ ونُصْحُها، وتذكيرُها بفضل ابنها وزوجته، وأنهما ما جلسا إلا لأجلها، لا أنْ يزيدوها همًّا وغمًّا، ويكونون معها في لومها وعتابها.

ثالثًا: أنْ يُحسنوا الظن بأخيهم، وأنه لا يُمكن أنْ يتعمد الإساءةَ لأمِّه، ولا يرضى من زوجته أنْ تفعل ذلك.

وبعض الأمهات ـ هداهنّ الله ـ تكون شديدةَ الحساسية والتوجس من ابنها وزوجته، إنْ سافرا حملت في خاطرها، حيث تركوها وحدها في البيت.

بل كثيرٌ منهن يُحببن ويُقدرن أبناءهن الذين ليسوا معها في البيت!! وهذا من العجب، فالذي جلس لأجلها لا يَحْظَى بكامل الحب والتقدير والمدح، والذي يكون بعيدًا عنها هو الذي يحظى بذلك كلّه.

يُحدثني أحدُهم أنَّ أُمَّه كانت تُكنّ الاحترام والحب لأبنائها وبناتها

الذين يسْكنُونُ في بيتٍ مُسْتقلّ، وأما هو فلا يَلقى عُشْرَ ذلك، مع أنه في البيت مع أُمِّه.

يقول: وكنَّا أنا وزوجتي نُشاركها الأكل كل يوم، فلا نسمع منها الثناء والشكر.

ومرةً حضرتْ أُختي عصرًا، وأحضرتْ شيئًا من الطعام فأكلنا مع أمي، فلم يزلْ لسانُها يلهج بالثناءِ والمدحِ لها!.

فقلت في نفسي: أنا وزوجتي كلَّ يومٍ ننام ونأكل معها، ولم نسمعْ شيئًا يُذْكَر من المدحِ والثناء.

ومع ذلك فعلى الولد ـ ابنًا كان أو بنتًا ـ أنْ يصبرَ على ما يصدُرُ من الوالدين، فَحقُّهما عظيمٌ وبِرُّهما واجبٌ.

٢ ـ عدمُ تحريض الأخوات والإخوان أمَّهم على الابن أو زوجته، فبعضهم ـ هداه الله ـ يكون مع أمِّه في كل صغيرةٍ وكبيرة، وقد تكون مُخطئةً أو واهمة، ومع ذلك يُوافقها في كلِّ شيء، طلبًا لإرضائها ـ بزعمه ـ، بل ويزيد من تأنيب الابن وزوجته، وأنَّهُمَا مُخطئان مُقصِّران!!.

٣ ـ مُساعدة الزوجة في أعباء البيت عند الزيارة، فكثيرًا من النساء حين زيارتهنّ لا يُحضرن معهنّ شيئًا، ويَكِلْن إلى الزوجة عمل طعام الغداء أو العشاء، وإعداد الشاي والقهوة عصرًا، بل وبعضُهنّ لا يقمن بتنظيف مُخلَّفاتهنّ، ولا يُصلحن ما يُفسده أولادهنّ!.

وهذا من الخطأ الكبير، بل ينبغي لهنّ أنْ يُخبرن الزوجةَ بأنهن سيُحضرن كلّ شيءٍ معهنّ، وعند حضورهنّ ينتبهن لأولادهنّ، ويَقُمْنَ بالتنظيف والعمل، فحينها تشعر الزوجة بعدم ثقل يوم الزيارة، بل وتفرح وتُسرّ.

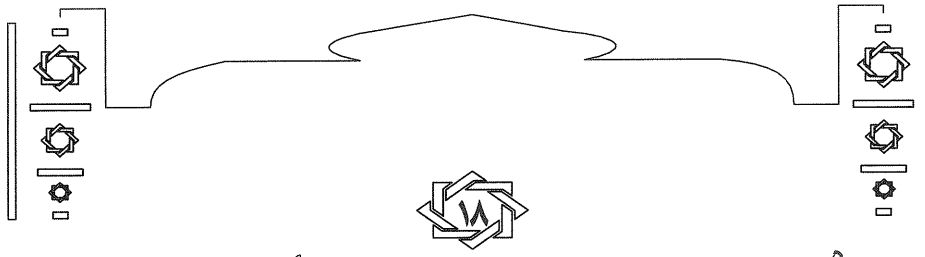

١٨

الْمُشاركة في تجارةٍ، دون وضعِ خُطةٍ واضحة

ما أكثر ما وقع الإخوة والأقارب في عداوةٍ وتقاطعٍ بسبب الْمُشاركة في تجارةٍ وعملٍ ونحوه! دون أنْ يضعوا خُططًا واضحة، ودون أنْ يعرف كلٌّ واحدٍ ما له وما عليه.

والدِّقَّةُ في ذلك أمرٌ مُهمٌّ جدًّا، حتى لا يجدَ الشيطانُ فرصةً للوقيعة بينهم.

وأكثرُ المشاحنات الحاصلةِ بين الأقارب والْمُزمنةِ أيضًا هي من هذا القبيل، ولو فكَّر هؤلاء بحقارةِ الدنيا، وأنَّ المال غادٍ ورائح، وأنه لا يُساوي الْمُقاطعةَ ولو للحظة واحدةٍ، ولكنها نزغاتُ الشيطانِ وحظوظُ النفس إذا لم تُتَعاهَدْ بالتزكية، ولم تُؤْطر على الحق أطرًا.

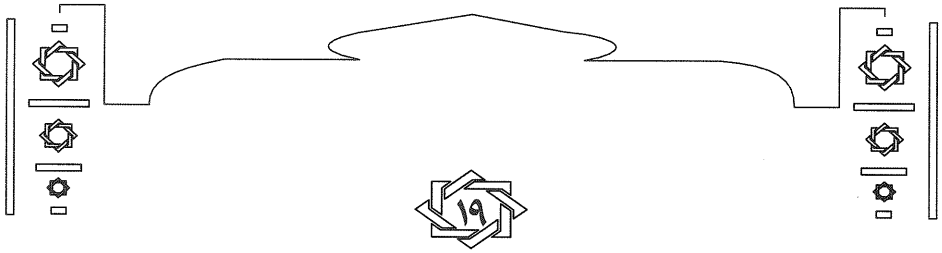

١٩

الإفراط في المزاح

مَن أكثر المزاح والهزْل مع قريبه فلا بدّ أنْ يُحدث شرخًا في العلاقة والْمودَّة.

ولْيُعلَم أنَّ العاقلَ لا يتسبَّبُ في جلبِ أعداءٍ له، بخلقِ مشاكلَ معهم، أو بعدمِ مُداراتِهم والصبرِ على أذاهُم.

والحكيمُ اللَّبيب: لا يُحوِّل أقْرباءه أعداءً، بِفعلِ أمرٍ يُغضبهُم، أو بعدمِ تحمُّلهم والصبرِ على ما يصدُرُ منهم.

والمؤمن الموفق المسدد: من يُحوِّل أعداءه إلى أصدقاء، بأنْ يُقابل السيّئةَ بالحسنة، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

وإنَّ أقْصَرَ طريقٍ لجلب العداوة، وتمزيقِ رباط الأُخوَّة والصداقة: الإفراطُ في المزاحِ والجدال، فكم بِسببهما وقعتِ الفرقةُ بين الأقارب والأصدقاء، وشُتِّتَ شملُ المتحابين والأخلاء، وعن طريقهما حلَّ الحزنُ والوحشةُ في القلوب، ووقع الناس في الآثام والذنوب.

أَمَّا الْمُزاحةُ والْمِرَاءُ فَدَعْهُمَا ... خُلُقَانِ لا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ

إني بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا ... لِمُجَاوِرٍ جَارًا وَلا لِرفِيقِ

فكم دار الحديث في المجالس، فتحوَّل الحديث الهادئ الأخويّ،

إلى جدالٍ شديدٍ وتعصُّبٍ كلٍّ طرفٍ لرأيه، فتنتهي الجلسةُ والقلوبُ مشحونةٌ حنقًا وغيظًا، والخواطرُ مُنغَّصة.

وشأْنُ المزاح كذلك، يَمْضِي الأقرباءُ زمنًا طويلًا في مودَّةٍ ومحبَّة، فتبدأُ شرارةُ الفرقةِ والكراهيةِ بمزحةٍ قاسيةٍ.

ويا رُبَّ مزحٍ عاد وَهْوَ ضَغَائِنُ

والمراد بالمزاح المحمود: الملاطفةُ والمؤانسة، وتطييبُ الخواطر، وإدخالُ السرور، فإذا خلا المزاحُ من ذلك: فليس هو بمزاحٍ محمود، بل هو اسْتهتارٌ واسْتخفافٌ بالناس، وإنْ زعم أنه يُمازحُ ويُداعب.

وقد كان المزاح من هدي النبي ﷺ، فقد كان يُمازح أصحابه ويُداعبهم، حتى قالوا له: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا[1].

ولا شك أن التبسط مطلوبٌ ليطردَ عن النفسِ السآمةَ والملل، ويُريحَ الجسم من التعب والكلل، وتَطْيِيْبُ المجالسِ بالمزاحِ الخفيفِ فيه خيرٌ كثير، **ولكن بضوابطَ وآدابٍ مِنْ أهمِّها:**

أولًا: ألا يشتمل على شيءٍ من الاستهزاء بالدين.

ثانيًا: أنْ يكون المزاحُ صِدْقًا وحقًّا.

ثالثًا: ألا يكون فيه استهزاءٌ وغمزٌ ولَمْزٌ.

رابعًا: ألا يكون فيه ترويعٌ له.

خامسًا: معرفة مقدار الأقارب، فالبعضُ من الناسِ يمزح مع كلِّ أحدٍ دون اعتبار، فالأقارب تختلفُ طِباعُ ومكانةُ كلِّ واحدٍ عن الآخر،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٨٤٨١)، والترمذي (١٩٩٠)، وصححه الألباني.

ويجب كذلك معرفة شخصية المقابِل، فيَمزحُ معه على حسب ما يُناسب سنَّه وطِباعه ومكانته وتقبُّله.

سادسًا: ألا يكون المزاحُ كثيرًا.

سابعًا: اختيار الأوقات المناسبة للمزاح.

ثامنًا: ألا يكون فيه فحش وبذاءة.

ومِمَّا ينبغي على القريب أنْ يجتنبه في مزاحه مع قريبه: المزاح معه عند الغرباء، فالقريبُ يَقْبَلُ مزاحك ويرضى به إذا كان لوحده، لكنْ عند الآخرين قد يُصابُ بالحرج، وقد تخرج منك كلمةٌ على حين غفلةٍ تُكدِّر خاطره، ويعتبرها واضعةً لقدره، مُنْقِصَةً من مكانته[1].

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص٥٥ (بتصرف).

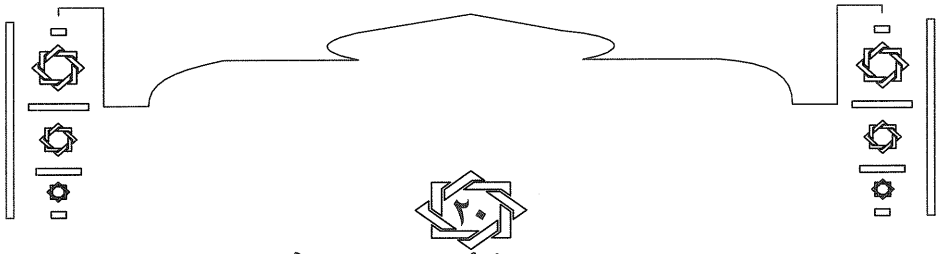

٢٠

سُوءُ الخلق، وحدَّةُ الطبع والْمُعامَلة

إنَّ للأخلاقِ في ديننا الحنيفِ مكانَتَها السنِيَّةَ، ودرجتَها السامِيَةَ العليَّةَ، فهِيَ حَجَرُ الزاوِيَةِ في بناءِ المجتمعاتِ، والأساسُ المتينُ في نَشْأَةِ الحضاراتِ، وقُطْبُ الرَّحَى في تزكيةِ النفوسِ الأبِيَّاتِ، وهِيَ دعوةُ الأنبياءِ والمرسلينَ، وزِينةُ عبادِ اللهِ المؤمنينَ، وريحانَةُ المتقينَ، وحِلْيَةُ الصالحينَ.

وقَدْ دعا الإسلامُ إلى كُلِّ خُلُقٍ كريم، ونفَّرَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَميم، فرَبَّى أتباعَهُ علَى الأخلاقِ الحميدةِ، والآدابِ المجيدةِ، وسَما بِهِمْ إلَى الأفعالِ الرشيدةِ، والأقوالِ السديدةِ، فكانَتْ هذِهِ الأُمَّةُ أمَّةَ الأخلاقِ والقِيَمِ، ورمزَ العِزَّةِ والشِيَمِ.

وإنَّمَا الأممُ الأخلاقُ ما بقيَتْ ... فإنْ هُمُ ذهبَتْ أخلاقُهم ذهبُوا

قال بعضُ السلف: لكلِّ شيءٍ أساس، وأساسُ الإسلام: الخلق الحسن[1].

وقد عرَّف العلماء حسن الخلق بتعريف جامع مانع فقالوا: هو بذل النَّدى، واحتمالُ الأذى، وطلاقة الوجه.

فبذل الندى: هو بذل المعروف والخير والمال، كإكرام الضيف والجار، وبذل المال للمحتاج، وخدمة الآخرين.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٤٥٥.

وقد كان ﷺ أكرم الناس وكان لا يرد سائلًا، وكان يكون في مهنة أهله يساعدهم ويعينهم.

وأما احتمال الأذى: فهو الصبرُ على ما يلقاه من أذى الناس وجفائهم.

قال أنس رضي الله عنه: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَهُ»(١).

الله أكبر! عشر سنوات ما سبه أبدًا، حتى ولا قال: أف، ولم يلمه على أي عمل عمله، أما البعضُ من الناس فإنه يتأفف ويسب ويلوم في اليوم الواحد كثيرًا!!.

وأما طلاقة الوجه: فهي البشاشةُ والابتسامةُ، يقول جابر رضي الله عنه: ما رآني رسول الله إلا تبسَّم في وجهي.

فهذه حال رسول الله ﷺ، لا يرى أحدًا من الناس إلَّا تبسم في وجهه، وبعض الناس لا يُرى متبسمًا إلا نادرًا(٢).

صاحبُ الْخلق الحسن: من أكمل المؤمنين إيمانًا، قال ﷺ: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**(٣).

وهو من أحَبِّ الناس إلى رسول الله، وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة.

قال ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ**

---

(١) رواه الإمام بإسنادٍ صحيح (١٣٠٣٤)، وأصله في الصحيحين.
(٢) البخاري (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).
(٣) رواه الإمام أحمد (٢٥٠١٣)، وأبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في التعليق على صحيح ابن حبان (٤٨٠).

أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[١].

ويُدرك بأخلاقه العظيمة وحِلْمه الواسع درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر، قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»[٢].

والأخلاق الحسنة أثقل في الميزان من نوافلِ الصلاة والصيام والقيام، قال ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[٣].

وسوءُ الخلق بلاءٌ عظيم، وشرٌّ مُستطير، يعيشُ صاحبه في همٍّ ونكد، ويَشقى به أهلُه وجيرانُه وغيرهم.

قال أبو حازم رحمه الله تعالى: السيّئُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه[٤].

نعم هذه حال سيء الخلق: فإنَّ نفسَه التي بين جنبيه لا تُطيقه، فهو في همٍّ وغَمّ، عابسُ الوجه، قليلُ التَّبسم، كثيرُ النقد، شديدُ الحقد.

والرحمةُ والرفق واللينُ في التعامل من أعظم أساسيَّاتِ الأخلاق، وهي من أهمّ أسباب الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، قال ﷺ: «**إِنَّ**

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٥٣٥ ـ ٦٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٧٤٠٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٧٢١).

(٤) السير (تهذيبه) ١/ ٦٣٧.

الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم(١).

فالرفق في كلِّ شيءٍ يَزينُه ويُصلحه، حتَّى في حال الغضب والعتاب، واللوم والعقاب، وهذا يدل على أنه من أفضل ما تحلَّى به العبد، واسْتعمله في أموره كلِّها.

بل أوصى به عَائِشَة رضي الله عنها فقال: «**يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِتَقْوَى اللهِ** ﷻ **وَالرِّفْقِ**»(٢).

فقَرَن الرفق بتقوى الله تعالى؛ لأنه بالتقوى يُصلح ما بينه وبين الحق، وبالرفق يُصلح ما بينه وبين الخلق.

ولا يدخلُ الرفقُ بيتًا إلا دخل معه الخير والتوفيق، قَالَ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ** ﷻ **بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»(٣).

فحريٌّ بمن حُرم الرفقَ واللِّين: أنْ يُحرَم الخير في دينه ودُنياه، قال ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**». رواه مسلم(٤).

والرِّفق: لين الجانب بالقول والفعل، والأَخذُ بالأَسهل، وهو ضد العنف، وهو الشدة والقسوة، فصاحب الرفق يدرك حاجته أَو بعضها، وصاحب العنف لا يدركها، وإِن أَدركها فبمشقة، وحريٌّ ألا تتم.

فهذا هو النهج الذي يجب علينا أنْ نستعمله مع أبنائنا وزوجاتنا(٥).

---

(١) (٦٧٦٧).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٣٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٣٨٨٧).
(٣) رواه الإمام أحمد (٢٤٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣).
(٤) (٦٧٦٣).
(٥) كَيْفَ تُرَبِّيْ أَبْنَاءَكَ، للكاتب، ص٥٤.

والرحمة والرأفة لا تستقيم الحياة إلا بها، ولا يهنأ عيش الناس بدونها، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها.

قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ رضي الله عنه، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**». متفق عليه[1].

إن من لم يرحم أبناءَه وبناته، ويعطفْ عليهم ويربيهم لا يرحمه الله، فالجزاء من جنس العمل.

بل إنَّ الرحمة بالكلاب قد تكون سببًا لمغفرة الذنوب، ودخول الجنة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ، مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**». متفق عليه[2].

فلا بد أن نعوِّد أنفسنا على الرحمة، والرقة والرأفة على كل أحد، وأحق من نرحم هم آباؤنا وأمهاتنا، ثم أبناؤنا وزوجاتنا وأقاربنا.

وانْعدامُ الرحمة، والمعاملةُ بالحزم والقسوةِ: من أخطر ما يُهدِّد كيان الأسرة، ويحل رباطها، ويُشتِّت شملها.

بل إنَّ أخطر الجرائم الأسرية، مِنْ قتلٍ وضربٍ وقطيعةٍ، لم تكن لِتَحدثَ لولا اتِّصافُ أحدِ أفرادها بهذا الخلق الشنيع.

---

(١) البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٢) البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

فالواجب أنْ يتحلّى جميع أفْرادِ الأُسْرةِ بالرحمةِ واللينِ وحسن الخلق، وأنْ يكون التعامل فيما بينهم مبنيًّا على ذلك، فسيجدون أعظم الأثر في تآلفهم وترابطهم، واجتماعهم ومحبّتهم.

ومن أهم الوسائل في كسب الأخلاق الحسنة والأدب والمروءَةِ ما يلي:

أ ـ دعاء الله تعالى بكثرةٍ وإلحاح.

ب ـ أنْ تجعل النبي ﷺ نُصب عينيك، فتعامل مع الناس ومع المواقف كما كان يتعامل، فستجد لذةً في ذلك، وستنقاد نفسُك سريعًا.

ج ـ كثرةُ القراءة والسماع لأحوال وأخلاق النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، قال ابن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

فخصِّص وقتًا لسماع وقراءة سيرهم وأخلاقهم.

د ـ أنْ تطلب من أقرانك وأقاربك أن يُخبروك بعيوبك، ويُصارحوك ولا يُجاملوك، ثم تعمل وتُغير مُباشرةً دون تأخير.

وقل لهم كما قال أحدُ السلفِ لصديقه: قل لي في وجهي ما أكره، فإنَّ الرجلَ لا ينصح أخاه، حتى يقول له في وجهه ما يكره[1].

وصدق الشاعر:

وقد رمى بك في تيهاءَ مهلكةٍ ... مَن بات يَكتمك العيب الذي فيكا

نعم، ما قيمةُ الصديقِ إذا لم يكن مرآةً صافيةً لصديقه، ما قيمةُ الصديق، إذا لم يُخبرْه بعيوبه ليُصلحها، وأخطائه ليُصحِّحها.

إنَّ من يُخْبِرُك عن عيبك: هو مُحسنٌ إليك، ومن يُنبِّهك على

(١) الحلية (تهذيبه) ٢/ ٥٤.

أخطائك: هو مُتفضِّلٌ عليك، فكيف تُقابله بالحنق والغضب، أهذا جزاء الإحسان، أين نَجِدُ في هذا الزمان من يُنبهنا على أخطائنا، ويُصارحُنا بِعُيُوبِنا، فهذا هو الناصح حقًّا، وليس الصديق الوفيّ، الذي يراك غارقًا في عيوبك، غافلًا عن أخطائك، وهو ساكتٌ لا يُحرك ساكنًا.

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي»، وكان يسأل سلمان الفارسيَّ ﷺ عن عيوبه، فلما قدم عليه قال: ما الذي بلغك عني مِمَّا تكرهه؟.

فكلُّ مَن كان أرجحَ عقلًا، وأقوى دينًا: كان أحرص الناس على معرفة عيوبه، وأحبَّ الناس إليه: مَن يُنبهه على تصرُّفاته وسلوكه.

فقليلٌ في الأصدقاء والأقارب مَنْ يكونُ مُخْلصًا صريحًا، بعيدًا عن المداهنة والْمجاملة[1].

(١) يُنظر: إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، للشيخ عبد العزيز بن محمد بن سلمان ﷺ، ص١٥.

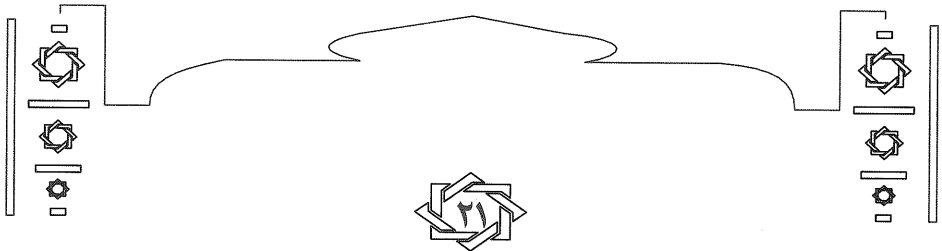

٢١
عدمُ المقابلةِ بين الطرفين الْمُتخاصِمَيْنْ

ينبغي لكلِّ من حصل بينه وبين قريبه مُشكلةٌ أو سوء تفاهم أو مكروهٌ أنْ يُبادر إلى زيارته، لفهم وجهة نظره، وسبب فعله، ومُحاولةِ تحجيم المشكلة لا تضخيمِها.

فأفضل طريقٍ لقطع دابر الشر والفتنة: المقابلةُ والمواجهة بين الطرفين، لا المراسلةُ ولا الْمُكالمة، فالْمُكالمةُ قد لا تُعالجُ المشكلةَ؛ لأنَّ الإنسانَ قد يَجْتَرِئُ في الكلامِ حال عدمِ المواجهة.

وأما المراسلات بالجوال ونحوِه، فهذه ضررها قد يكون أكثرَ من نفعها، وكم تأزَّمتِ الأمور برسالةٍ قُصد بها الإصلاحُ أو العتاب، وخاصةً إذا أُرسلتْ في مجموعةِ الأصدقاء أو الأقارب، التي ما أُنشئتْ إلا لتقوية أواصر المحبة، وزيادة الألفة والترابط، فيُرسل أحد أعضاء هذه المجموعةِ، نقدًا أو عتابًا لأحد الأعضاء، فينقسم الأعضاء بين مُؤيِّدٍ ومُعارض، فينتهي المطافُ بهم، إلى الخروج من هذه المجموعة، والنفوسُ مُكدَّرة، والقلوبُ نَافِرة.

وهذا من قلَّةِ الحكمة والعقل، ومن المعلوم أنَّ النصيحة في العلانية فضيحة، فكيف بالعتاب واللوم والسباب؟.

ولو أنه قابلَ صاحبَه وتفاهم معه لكانتِ العاقبةُ محمودة[1].

---

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص٩٤ ـ ٩٥، (بتصرف).

وقد وقفتُ على مُشكلةٍ أُسريَّةٍ بين النساءِ دامتْ لسنواتٍ عدَّة، ذاقَ أفرادُها مرارتها، وتجرَّعوا آلامَها، كانتْ قلوبُهم قبلها مُنشرحة مُتحابَّة، وخواطرهم سليمةً، واجتماعاتهم فرحًا وأُنسًا وسعادة، حيث يجتمعون كلّ أسبوعٍ، ولكنهم بعد هذه المشكلة التافهة، والخلافات السخيفة، التي مع قلة الحكمة في علاجها أصبحت مُعضلة، فتَنَافرَتْ قلوبُهم، وتكدَّرتْ خواطرهم، وأصبح اجْتماعُهم - الذي هو كالعيد بالنسبة لهم - يوم نكدٍ وتعاسة في كثيرٍ من أيامه، تجتمع أجسادُ بعضهم وقلوبهم مُتباعدة تغلي من الحقد والكراهية، لا يخرجون منه في بعض الأحيان إلا في مُصيبةٍ أو قيلٍ وقال، ثم تراكمت المشاكل وازْدادتْ، وعظمتْ وتنوَّعتْ، وكلَّما كادوا أنْ يَتَنَاسَوا المشكلةَ القديمة حلَّتْ مُشكلةً أعظم وأدهى من سابقتها!.

ومع هذا كلِّه، فقد انْحلَّتْ كلُّ هذه المشاكل والدواهي بجلستين لا تزيد عن الساعتين، اجْتمع فيه بعض الأفراد مع الذين تدور المشاكل عليهم، فما إنْ تقابلوا وجلس الحَكَمُ بينهم، واسْتمع كلُّ واحدٍ منهم إلى الآخر، حتى قاموا من مجلسهم مُتعانقين، وذهبوا مُتآلفين، وانْمحى الماضي البئيس، واندحر الشيطان الخسيس.

إنها المقابلةُ التي لا علاج للمشاكل إلا بها، ولا صفاء للقلوب إلا عن طريقها.

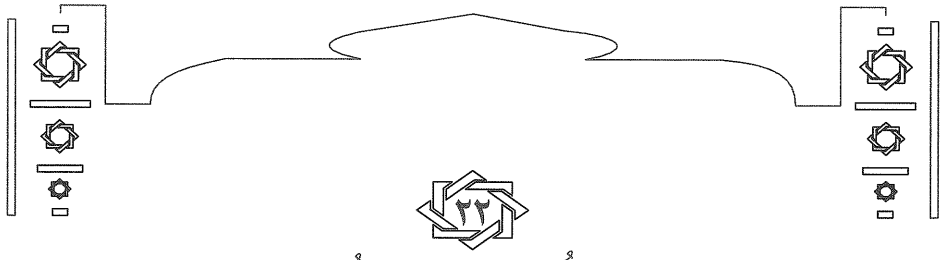

٢٢

عدمُ صبر من أُوذي، وعدوانُه على ظالِمه

تأمل يا من بُغي عليك بغير حق، ويا من أَخطأ أحدٌ في حقك، أو تنقَّص قدرك، أو قلَّل من شأنك، تأمل أخلاق الأنبياء عليهم السلام مع مَن ظلمهم من الكفار ـ وليس المؤمنين المخطئين ـ، وكيف صبرهم، وعدمُ طلبهم للانتقام:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»**. متفق عليه[١].

لم يَدْعُ عليهم، ولم يشتمهم أو يسبهم.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «وَاللهِ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ». رواه البخاري[٢].

لم يكن عليه الصلاة والسلام ينتقم لنفسه أبدًا، «يعني: إذا أُوذي بغير السَّبِّ الذي يُخرج إلى الكفر، مثل الأذى في المال، والجفاء في رفع الصوت فوق صوته، ومثل جبذ الأعرابي له حتى أثرت حاشية البرد

---

(١) البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (٤٧٤٧).

(٢) (٦٧٨٦).

في عنقه، لم ينتقم لنفسه أبدًا، أخذًا منه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣]»[(١)].

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنه ينبغي على من ظُلم وأُوذي أن يصبر ويحتسب، وأنه بصبره ينال الرفعة والأجر، وأنه لا يجوز أن يجور ويظلم على من جار عليه وآذاه، قال رحمه الله تعالى كلامًا نفيسًا: ولكن المُصيب العادل: عليه أن يصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأوِّل[(٢)]، وأما إن كان ذاك أيضًا متأولًا[(٣)]: فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له[(٤)]، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله: كانت العاقبة له، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين.

---

(١) شرح البخاري لابن بطال ٨/٤٠٦.

(٢) أي: أن الذي ظلم كان غير متأوِّلٍ؛ أي: أنه معتقدٌ أنه على غير حق، وقد تقصَّد الظلم والجور.

(٣) أي: أن الذي ظلم كان متأولًا؛ أي: أنه معتقدٌ أنه على حق، وليس قصده الظلم والجور.

(٤) أي: هذا المتأوِّل الذي ظلم وأخطأ، لكنه لم يقصد الظلم بل قصد الحق: له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فنهى أن يَحمل المؤمنين بُغضُهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البُغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له.

فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا، فإن الشيطان مُوكَّلٌ ببني آدم، وهو يعرض للجميع ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور. ا.هـ كلامه[١].

ما أجمل وأعظم هذا المنهج الشرعي، والمسْلَك الربَّاني، فلو علم المظلوم والْمُعتَدَى عليه أنه مأجورٌ على ما حصل له، وعذر الظالم بكونه قصد الحق والغيرة على الدين، ولم يحمله ذلك على ألا يعدل على أخيه المؤمن، وإن كان ظالمًا له: لما وصل الحال إلى ما وصلنا إليه في أُسَرِنا، ومجتمعاتنا، وأماكن عملنا[٢].

وأعظم من ذلك: عدمُ قبول عذر المتعذر، فكثيرًا ما يندم القريبُ على ما فعله أو قاله، فيذهب إلى قريبه ويعتذر منه، فلا يُجدي ذلك أبدًا، وهذا دليلٌ على قسوة القلب، وتغلغل الحقد فيه ـ والعياذ بالله ـ.

(١) الاستقامة، ص٥٦.

(٢) إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد للكاتب: ص٢٥ ـ ٢٨، بتصرف.

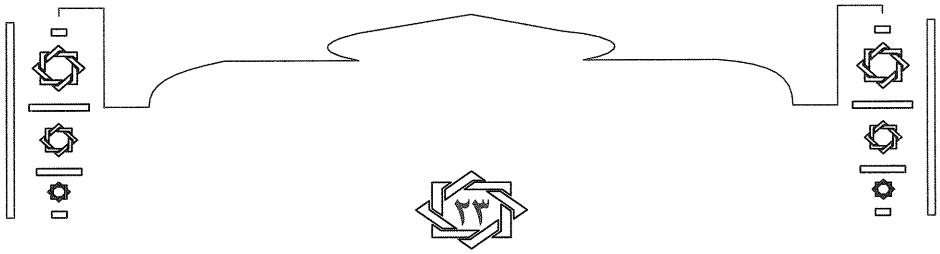

٢٣

عدم الأخذ بالمنهج الصحيح في الحوار

ما أجمل أنْ نَتأمَّلَ سيرة النبي ﷺ في حواراته كيف كانت؟، وهل كان يعنف على من أبدى رأيًا يُخالف رأيه ﷺ؟

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعَمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمَ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رجلًا وَاحِدًا، وإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَلْنُزَوِّجُكَ عَشْرًا»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَغْتَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١، ٢]» حَتَّى بَلَغَ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١٣] فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: «**لَا**»، فَرَجَعَ عُتْبَةُ إِلَى قُرَيْشٍ.

رواه الحاكم[١] وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

لقد رسم لنا النبي ﷺ في هذا الحوار منهجًا نافعًا، ومسلكًا رفيعًا ناجعًا، ويتلخص هذا المنهج في النقاط التالية:

١ ـ الإنصات والاستماع التام لأقوال وحجج الآخرين، ولو كان في نظرك فاسدًا لا يستحق أن يُسمع له، فهل هناك أبشع وأقذع من كلام وقول عتبة بن ربيعة؟ كلا، ومع ذلك استمع له النبي ﷺ بكل أدب وإنصات.

٢ ـ عدمُ مُقاطعة المتحدث والمُحاور، لك أن تتصور فظاعة كلام عتبة للنبي ﷺ، حتى بلغت به الخسة والجرأة أن قال: إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب.

كلامٌ في غاية السخف والبذاءة، لكنه الأدب الذي تحلى به ﷺ، ولو مع مَنْ بلغ هذا الحدَّ من البذاءةِ وقلَّةِ الأدب.

٣ ـ سؤال المتحدث بكل أدب ولطف هل فرغ من حديثه أم لا؟؛ لأن المتحدث إذا لم يُكْمل حديثه لن يكون منصتًا جيدًا، ومستمعًا صحيحًا، بل ينتظر متى يكمل الآخر حديثه، حتى يكمل هو حديثه.

٤ ـ الرد على الخصم والمناقِش بالرد الحسن الذي ليس فيه سب أو شتم أو تجريح؛ لأن الهدف من الحوار والنقاش ليس الانتقام والتشفي، بل إقناع الطرف الآخر، أو على الأقل أن يفهم وجهة نظره، سواء قبلها أم لا.

٥ ـ الاختصار في النقاش، وعدمُ الإسهاب الممل في عرض وجهات النظر، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

فهذه بعض آداب الحوار والنقاش التي تعلمناها من قدوتنا وحبيبنا

---

(١) (٣٠٠٢)، ورواه عبد بن حميد (١١٢٣)، وأبو يعلى (١٨١٨)، وابن أبي شيبة (٣٦٥٦٠)، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية: ١٦٠، رحمهم الله جميعًا، وما بين الشرطتين ليست عند الحاكم.

محمد ﷺ، فهل إذا سرنا على هذا المنهج سيحصل سوء تفاهم، أو تقاطع وتخاصم؟ اللَّهُمَّ لا!!.

ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول: «رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب».

ولو تأمَّلنا في هذا الكلامِ القليلِ في مبناه، العظيمِ في معناه، لوجدنا تحته منهجًا وقاعدة في التعامل مع الناس وآرائهم:

١ ـ التحاور والنِّقاشُ مع الآخرين، وسماع آرائهم بصدر رحب.

٢ ـ إبداء الرأي من دون الإلزام بأخذه، أو التسخط بعدم قبوله.

٣ ـ أن رأيه باعتقاده هو الصواب والحق، لكنه سيستمع لرأي غيره الذي يعتقد أنه خطأ يحتمل الصواب، ولذلك هو يستمع إليه، ويتأمل حججه وبراهينه، فقد يرى هذا الرأي ويكون هو أصوب من رأيه، فهو مستعد أتم الاستعداد لأن يغير ويبدِّل رأيه وقناعته إن كان الرأي الآخر أقوى وأحسن منه.

٤ ـ إحسانه الظن بالآخرين وبآرائهم، فآراء الناس ومن يُخالفهم قد تكون أحسن وأجمل وأصوب من رأيه.

هذا هو منهجه وطريقته، فهل سنسير على هذا المنهج الناجح النافع؟

لو سار أفراد الأسرة على هذا المنهج، وهو منهج التشاور والتحاور، وإحسان الظن بالآخرين، والاستعداد لقبول آرائهم ومقترحاتهم، دون الإلزام بآرائنا ومقترحاتنا: مَا دبَّ بيننا الاختلاف والتشاحن، ولا تغلغل فينا التنافر والتطاحن، ولرأينا حلًا سليمًا لمشاكلنا بكل يسرٍ وسهولة.

وهذا المنهج ينبغي أن يسير عليه كلُّ واحدٍ مع من يخالفه، الوالدان في البيت، والأستاذ في مدرسته، والرئيس في عمله، والحاكم مع رعيته[1].

---

(١) إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد، للكاتب، ص٢٩ ـ ٣٣ (بتصرف).

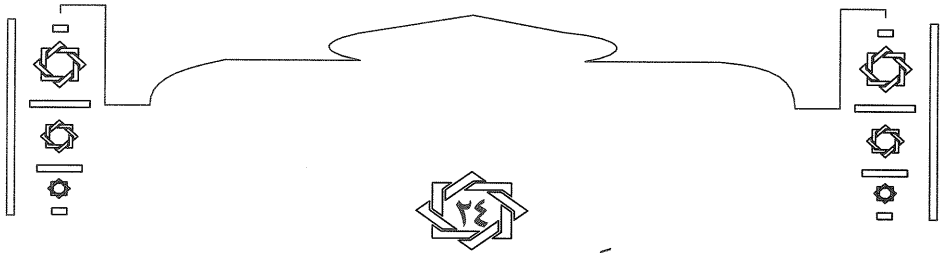

٢٤

قلَّةُ الاحترام والأدب

إنَّ الاحترام والأدب مع الناس من أعظم ما يجلب المودة والمحبة، ويزرع في القلوب السعادة والألفة، وإن الرجل بلا احترام، يكون بغيضًا ثقيلًا بين الأنام، ويرتكب بسبب ذلك الأوزار والآثام.

رأيتُ العزَّ في أدبٍ وعقلٍ وفي الجهل الْمَذلّةَ والهوانا

ولن يصفو لنا أحدٌ مهما قرب منَّا بغير الاحترام والأدب معه، حتى أولادنا وأزواجنا، فكيف بالبعيدين منَّا؟.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبَواره. فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب[1]. ا.هـ.

إنَّ الاحترام والأدب في أقوال وتصرفات الأقاربِ بعضِهم مع بعضٍ ينبغي أنْ يكون هو الأساسُ والأصل، مهما قويت وتقادمتِ العلاقة، ووُجدتِ المودَّة، وكثيرٌ من الناس لا يُراعي ذلك مع أقربائه، وإنما مع الغرباء، وهذا من العجيب!.

فحريٌّ بنا أنْ نُعامل الناس ـ وبالأخص الأقارب ـ بغاية الأدب والاحترام واللباقة.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٢٠٩ ـ ٢١٠.

وصورُ قلَّةِ الاحترام والأدب بين الأقارب وغيرهم كثيرةٌ منها:

١ ـ مُناداةُ الصغيرِ للكبير باسْمه الْمُجرَّد دون كُنيته.

٢ ـ الاستهتار والاحتقار، وإطلاقُ الكلماتِ التي فيها تنقُّصُ ولمز.

٣ ـ إخلاف الوعد، وعدم القيامِ بما اتفقوا عليه.

٤ ـ مُقاطعةُ الْمُتحدث من دون حاجةٍ لذلك، أو إخباره بأن ما يقوله من خبرٍ أو قصةٍ معروفةٌ لديه.

٥ ـ المزاح الثقيل، والمزاح في غير وقته.

٦ ـ عدمُ البشاشة والابتسامة له، والسلامُ عليه ببرودٍ أو تعبيس.

٧ ـ عدمُ الاعتداد بآرائه واقْتراحاته، وتقديمُ غيره عليه دائمًا.

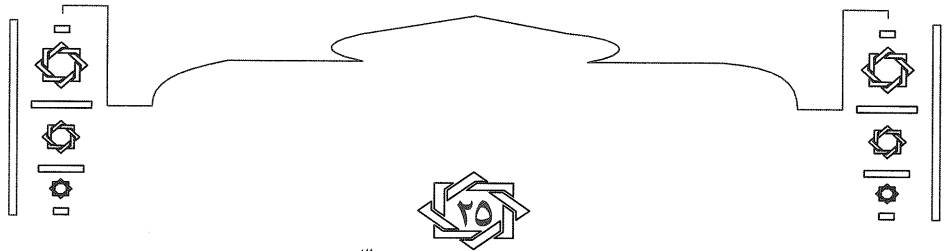

٢٥

التكلم بالكلام الفَظِّ الغَليظ

ما أورد الكثير من الناس في المهالك، ولا أوقعهم في رديء المسالك، ولا حصلت القطيعة والفرقة إلا بسبب بذاءة اللسان.

تعاهد لسانك إنَّ اللسان ... سريعٌ إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يَدلّ الرجال على عقله

إنَّ الإنسان إذا كانتْ كلماتُه جافَّة، وحديثُه خالٍ من العبارات اللينة الجميلة: لا يكون محبوبًا مألوفًا، ولا تُرغَبُ مُجالستُه، ويُملُّ الحديثُ معه.

هذا إذا لم يُضف إلى ذلك وقاحةً وسبًّا وغلظة، فيكون حينها أبغض.

ولْنتأمل كيف كان النبي ﷺ يُحبّ طَيِّبَ الكلام، وينبذ سيِّئه ورديئه، ولا ينطق بكلام سيء حتى مع أعدائه وبُغضائه.

فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**». متفق عليه[1].

(١) البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٥٧٨٤).

وهذا الحديث قد بوَّب عليه البخاري رحمه الله تعالى: بَابُ الرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ.

فإذا كان النبي ﷺ قد استعمل أطيب الكلام مع من سبه وتنقصه، أفيليق بنا أن نستخدم أسوأ وأشنع الكلام مع أقاربنا؟

حتى ولو أخطأ القريبُ على قريبه فلا يليق به أنْ يَرد عليه بقولٍ غليظ، وكلامٍ جاف بغيض.

ولْنتأمل قول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

ما أعظم وأرفع تعاليم الإسلام، وما أحسن وأنفع توجيهاتِ الملكِ العلَّام، فالله تعالى الذي خلقنا، ويعلم ما يُصلحنا وينفعنا، لم يأمرنا ويحثنا على أن نقول للناس والآخرين الكلام الحسن فحسب، بل أمرنا بأن نقول أحسن وأنفع الكلام، حتى لمن يُخالفنا ويُخطئ علينا!.

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذلك في غير ما آيةٍ من كتابه الكريم، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، قال عطاء رحمه الله تعالى: دخل في هذه الآيةِ اليهودُ والنصارى، فكيف بالمسلم؟!.

قال بعضُ العلماء: «ينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا مع البر والفاجر، من غير مداهنة؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]؛ يعني: لفرعون، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما ربهما باللين معه». ا.هـ كلامه.

فلْنتأمل كيف أُمر النبيان الكريمان، موسى وهارون عليهما السلام، أن يتلطفا في القول مع فرعون، الذي ادَّعى الألوهية والربوبيَّةَ، وقال

للناس: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، فأمر الله رسولَيه إليه، أن تكون دعوتهما له بكلام رفيق، لين سهل رقيق؛ ليكون أوقع في نفسه، وأبلغ في قيام الحجة عليه، وأدعى لقبوله لدعوتهما. وكم يحتاج ذلك كل مسلم، لتربية ودعوة من تحت يده، من أهل وزوجة وأولاد، وطلاب وموظفين، فهم أولى بالرفق واللين، قال ﷺ: «**والكلمة الطيبة صدقة**». متفق عليه[١].

الكلمة الطيبة: تحفظ المودة، وتمنع كيد الشيطان في زرعِ العداوةِ والبغضاءِ بين الأصدقاء والإخوان.

بل إن طيب الكلام حتى مع الأعداء مطلوب؛ لأنه سببٌ في إطفاء الخصومة، وإخماد الغضب، مما يقرب القلوب، ويذهب غيظ الصدور، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

إنَّ الكلمة الطيبة: تغسل الضغائن والأحقاد والظنون السيِّئة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو تلقى أخاك بوجه طلق**»[٢].

وإنَّ الكلام القاسي الغليظ لهو من أعظم ما يُنفر الناس عنك، ويُبعدك عنهم، ويَجعلك بغيضًا ثقيلًا على قلوبهم.

هل هناك أحدٌ أحبُّ وأكرم إلى الصحابة مِن رسول الله ﷺ؟ لا والله. بل إنهم يفدونه بأرواحهم وقلوبهم وأولادِهم.

ومع ذلك قال الله تعالى في حقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ

---

(١) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) رواه مسلم (٦٨٥٧).

﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ أي: لو كنت سيِّئَ الكلام، قاسي القلب عليهم: لانفضوا عنك وتركوك، وذهبوا عنك وهجروك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، ورحمةً بهم.

فكيف نرجو ونأمل أن يحبنا الناس، وأن يقترب منَّا أبناؤنا وأقرباؤنا، ونحن نعاملهم بألفاظٍ غليظة، وعبارات قاسية؟[1].

فلْيَتعاهد أفرادُ الأُسْرة ـ خاصَّةً ـ على هذا الأمر، ولْيُعوِّدوا أنفسهم الحديث مع بعضهم بالكلام اللطيف، والعبارات اللينة الجميلة، فحينها تتآلف قلوبهم، وتصفوا خواطرُهم.

(١) إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد، للكاتب، ص٨٥ (بتصرف).

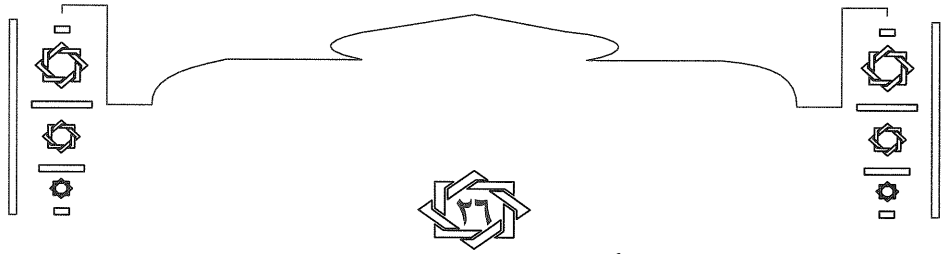

٢٦

العجَلَةُ في الردّ واتخاذِ القرار

الأناةُ والتروي، وعدمُ العجلةِ في الردِّ واتخاذِ القرار مِنْ أعظم سمات العاقل الحكيم، وهي من أهمّ أسباب دَرْء الخلافات والمشاكل الأسرية.

وانْعدامُها سببٌ للكوارثِ الكبيرةِ، والمشاكل الخطيرة.

فلا بد من التفكير طويلًا في كيفية التعامل مع الخطأ الذي يصْدرُ من أحد أفراد الأسرة.

وما أجمل حكْمةً قالها الحسنُ البصري رحمه الله تعالى، فقد قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول، رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه، لا يرجع إلى قلبه، ما جرى على لسانه تكلم به.

نعم! الحكيم حقًّا هو الذي لا يستعجل في الردّ والكلام، ولا يكون جوابه وردُّه على طرف اللسان، فكم نَدِمَ بعض الْمُتعجِّلين ندمًا شديدًا بسبب عجلته، وقلَّة صبره، فإنه لو صبر وتفكر في الرد والجواب المناسب لتكلَّم بكلام ينفع ولا يضر.

بل لو سكت أحيانًا ولم يردّ على من أساء إليه لكان أحسن وأسلم.

ولذلك قال لقمان الحكيمُ لابنه: يا بني ما ندمت على الصمت

قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب[١].

وكان يقال: إذا فَاتَك الأدب فالزم الصَّمتَ[٢].

ما إنْ ندمتُ على سكوتي مرَّة ولقد ندمتُ على الكلام مرارًا

والإنسان لا يندم في الترويّ والحلم، ولكنه كثيرًا ما يتجرَّع الندم والألم بعجلته ومُبادرته في الرد والسبّ.

فداويتُه بالحلمِ والمرءُ قادرٌ على سَهْمِه ما دام في كفِّه السَّهْمُ

كثيرًا ما يحدث ما يُكدر الخاطر، ويُهيج الغضب، فيشعرُ الإنسانُ بدافعٍ يدفعهُ للردّ بعنفٍ على قريبه، وإسكاتِه وإغضابه، ولا يُفكر في تلك اللحظة في عواقب فعله وغضبه، فيندم بعد ذلك، ويُحدث في القلب جُرحًا يصعُبُ علاجُه.

وليس المطلوب الكتمان والسكوتُ مُطلقًا، فكتمان ما بخاطره قد يتراكم حتى يصل إلى مرحلة الانفجار، فيحدث ما لا تُحمد عُقباه.

ولكنَّ المطلوبَ أنْ يتحكم في نفسه، ولا يصدرَ منه ما لا ينبغي، فلا يردّ بكلامٍ فظٍّ قاسٍ، بل يُجيبُ خصمَه ويردُّ عليه بحكمةٍ ورويَّةٍ، دون عَجَلَةٍ وكلامٍ بذيءٍ.

ولم أرَ في الأعداءِ حين اخْتَبَرْتُهُم عدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِن الْغَضَبِ

(١) الزهد للإمام أحمد، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) عيون الأخبار ٢/ ٥٧٣.

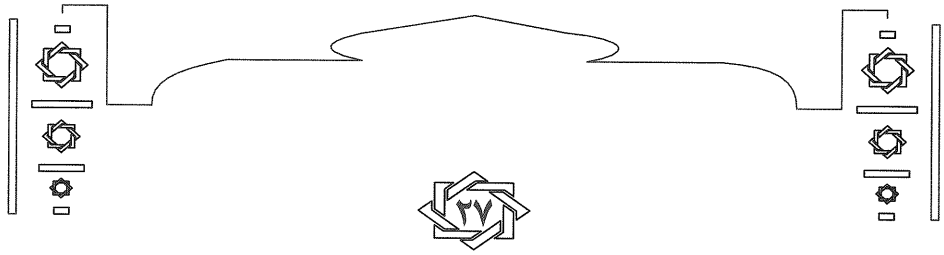

٢٧

عدمُ الإصلاحِ والسعيِ في تأليفِ القلوب

إصلاحُ ذات البين، والحرصُ على لَمِّ شمل الْمُتقاطِعين، وتقريب وجهات النظرِ من أعظم حقوق القريب على قريبه، وهو من أعظم الأعمال عند الله تعالى.

أخرج الإمام أحمد[١] وأبو داود[٢] والترمذيُّ[٣] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضلَ مِنْ درجة الصلاة والصيام والصَّدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**صلاحُ ذاتِ البينِ؛ فإنَّ فسادَ ذات البين هي الحالِقةُ**».

إنَّ المكارمَ كلَّها لو حُصِّلتْ ... رُجِعَتْ بِجُمْلَتِها إلى شَيئَينِ

تَعْظِيمُ أمْرِ الله جلَّ جلالُه ... والسَّعيُ في إصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ

فهذا العملُ العظيمُ أفضلُ مِنْ درجة الصلاة والصيام والصَّدقة المستحبة!، فيا سبحان الله! ما أزهد الكثيرَ من الناس بهذا الأجر العظيم!.

وقد رغَّب الله في الإصلاح بين المتخاصمين فقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن

---

(١) في مسنده ٦/ ٤٤٤.

(٢) في سننه (٤٩١٩).

(٣) في جامعه (٢٥٠٩)، وقال: «حسن صحيح».

يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤][1].

فتفاقم وتعقُّدُ كثيرٍ من المشاكل الأسرية إنما سببُه عدم وجود المصلحين، وسعيهم للصُّلح ونبذِ القطيعة.

فينبغي لكلِّ فردٍ من أفراد الأُسرة أنْ يسعى في الإصلاح، ويتطلَّبَ شتَّى الوسائلِ الْمُمْكنةِ في تصفية القلوب، وتآلفِ النفوس.

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص٥٥ (بتصرف).

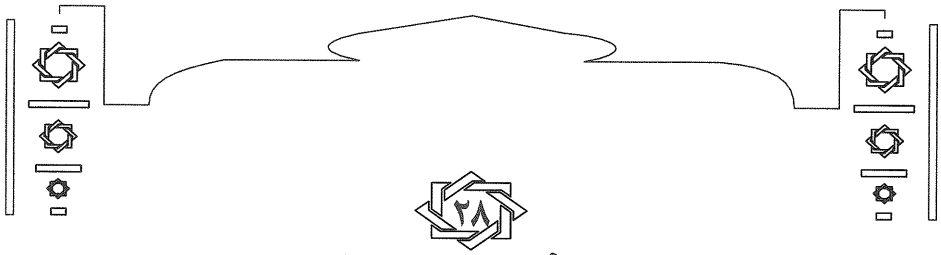

٢٨

عدمُ اعتذارِ الْمُخطئ وأنَفَتُه من ذلك

كمْ همُ الذين تَبدُرُ منهم زلّةٌ أو تقصيرٌ مع أقْربائهم، ثم لا يُسارعون في الاعتذار إليهم، وتطييبِ خواطرهم.

وهذا من أعظم أسباب المشاكل واسْتمرارها.

فلو أنَّ من ارْتكبَ خطأً أو سلوكًا سيِّئًا في حق قريبه ثم اعتذر منه بصدقٍ لَمَا طالت هذه النزاعات والخلافات.

عوِّدْ نفسك أنْ تقول: آسف، أعتذر عن خطئي، أُقِرُّ بأني مُخطئ، وهكذا، فإن الاعتذار يُزيل ما في القلب من ضغينةٍ، ويغسل ما ألمّ به من ألَمٍ.

«الاعتذارُ يُذهب الهموم، ويُجْلي الأحزان، ويَدفع الحقد، ويُذهب الصدّ، فلو لم يكن في اعتذارِ المرء إلى أخيه خصلةٌ تُحمد إلا نفي العُجْب عَن النفس في الحال لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كلِّ زلة»[1].

وممَّا ينبغي تجنُّبُه عند الاعتذار: عدمُ التصريح والوضوح بطلب المسامحة والعذر، فبعضهم ربما يقول: يا فلان، إنْ كنتُ أخطأتُ فأنا بشرٌ أخْطئ وأصُيب!، وبعضُهم يُرسل رسالةً يقول فيها: إلى كلّ من

(١) روضة العقلاء، ص١٦٩.

ظلمتُه أو أخطأتُ في حقِّه أرجو مسامحتي، فأنا قد سامحتُ كلَّ أحد!!

وهذا كلُّه لا يُسمى اعتذارًا ولا رجوعًا عن الخطأ، بل هو بغيضٌ ثقيلٌ.

قال بعض السلف: رُبَّ ذنبٍ أحسنُ من الاعتذار منه.

إذا كان وجهُ العذرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذْر خيرٌ من العذر[1]

(١) حقوق الصديق وكيف تتعامل معه، للكاتب، ص١٢٢ ـ ١٢٣ (بتصرف).

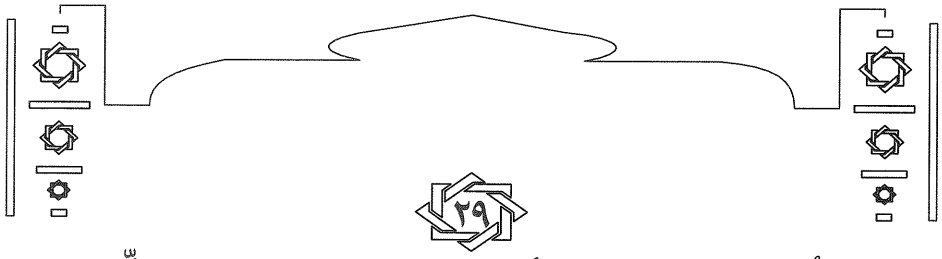

٢٩

جهلُ القريبِ ما يُحبُّ ويَكره قريبه من الطِّبَاع

من أهم ما يحتاجه القريب من قريبه ـ وخاصَّةً بين الزوجين ـ أنْ يُخبره بما يُحبه وما يكرهه من الطباع والأخلاق وغيرها حتى يعملَ على القيام بها، ويتَجَنَّبَ ضدّها.

أمَّا أنْ تسكت ـ أيها القريبُ ـ عن ذلك، فإنَّ قريبَك قد يقترفُ ما يُكدر خاطرك، ويُضيِّق صدرك، ثم تلومه وتُعاتبه بعد ذلك، وأنت الْمُلامُ أولًا.

إذا كانت صورةُ القريبِ عند قريبه واضحة، وانْكشف له ما يهواه قريبه وما يُبغضه: كان ذلك سببًا كبيرًا في دوام الأُلْفة، وسلامتها ممَّا يُكدِّرها.

كثيرٌ من الأزواج يمضي السنوات الطويلة، ولا يعرف أحدُهم ما يُحب ويُبغض الآخر، وربما عرفها ولكنْ لا يُبالي ولا يلتزم بها، فتنشأ الخلافات الكثيرةُ.

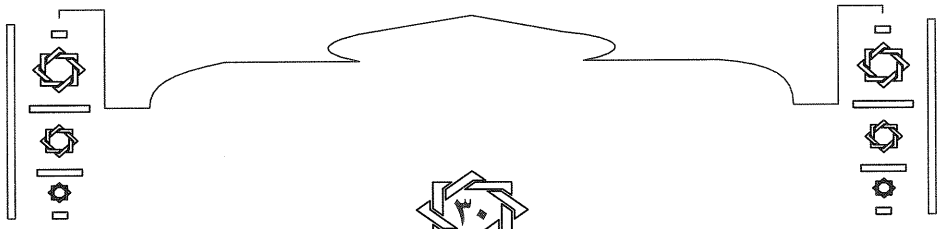

٣٠

عدمُ اسْتخدام خُلُقِ الْمُداراةِ بضوابطها

الصبرُ على بعض الأقاربِ الذين فيهم جفاءٌ أو حِدَّةٌ، ومُداراتهم من أهمّ ما ينبغي على العاقل أنْ يقوم به، ولا تستقيم الحياةُ الأُسرية إلا بذلك.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ العقلِ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونةِ.

ولن تجد صفةً تعيبها في قريبك إلا وجدتَ صفةً أُخرى تستحسنها كما قال الشاعر:

إذا عبتُ منه خَلَّةً فهجرتُه ... دعتني إليه خَلَّةٌ لا أَعيبُها

بعضُ الأقارب يكون بخيلًا، لكنَّ عنده من الأخلاق والصفات الأخرى ما تُرقِّع هذا الخلق، وتسدُّ ثَلْمَ هذا الخرق، كأن يكون خدومًا سمحًا مُؤْنسًا، فاصبر ودارِ بُخله لتستمتع بِمَحاسنه الأخرى.

بعضُهم يكون عنيدًا شديد التمسك برأيه، لكنه مع ذلك كريمًا باذلًا، سديدَ الرأي، ذا خبرةٍ وتجارب، فاصبر ودارِ عناده، وامدح رأيه ووافقه ـ قدر الإمكان ـ لتستمتع بِمَحاسنه الأخرى.

فالقاعدة إذن: اصبر ودارِ عيبه لتستمتع بِمَحاسنه، وتَسْتَدِيْمَ صُحبته.

والعاقل لا يعمل ما يُثير الصفة السيئة في قريبه، ويتحاشى ما يُهيجها أو يُحركها.

فإذا علمتَ أنَّ قريبك لا يُحب نقْد فلانٍ أو جماعةٍ، أو يكره التعليق عليه، أو يُبغض كلماتٍ مُعيَّنةً، أو موضوعًا ما: فمن السخافةِ وقلَّة الوفاءِ والعقل أنْ تَذْكرَ ذلك عنده.

وبعض الناسِ ليس مُستعِدًّا أنْ يُكلِّف نفسه تحمل بعض طِباع أقاربه، بل هو مُتمسِّكٌ بطِباعه وأخلاقه ولو كانت عوجاء، ثم يطلب منهم أنْ يحتملوه، فيقول: هذا طبعي، فلا بدّ أنْ تُراعوني!.

فلا بدّ أنْ يُداريَ القريبُ قريبَه، وأنْ يصبرَ عليه، ويحتملَه ويُسامِحَه، ولا تدوم الحياةُ إلا بذلك.

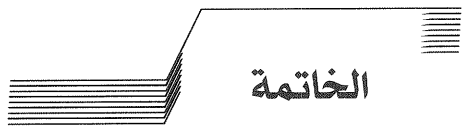

الخاتمة

هذا ما فتح الله تعالى عليّ من أسباب المشاكل الأُسرية وعلاجها، وقد حرصتُ أنْ تكون شاملةً ـ قدر الإمكان ـ ولم أسْتقصِ البحث اسْتقصاءً كاملًا بجمع المصادر كلها أو أكثرها، بل حرصتُ أنْ أكتُب وأُدوِّنَ ما أراه وأُشاهده، ثم بحثتُ عن بعض المصادر التي تتكلم عن هذا الموضوع.

فما كان من صوابٍ فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من كلِّ زلَّةٍ أو خطأ أو تقصير.

نسأل الله تعالى، ألا يجعل منا ولا من بيننا قاطع رحم، ولا من هجر أخاه المسلمَ أو حقدَ عليه، اللَّهُمَّ أعذنا من هذا المرض العضال، والداءِ القتَّال، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلّم على نبيِّه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم في يوم الإثنين ٧ ـ ١١ ـ ١٤٣٥هـ

والحمد لله رب العالمين

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

التفسير:

٢ ـ **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٣ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**: للعلامة عبد الرحمٰن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، طباعة: مؤسسة الرسالة.

٤ ـ **تفسير الشعراوي**: للشيخ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، طباعة: مطابع أخبار اليوم.

الحديث:

٥ ـ **صحيح البخاري.**

٦ ـ **صحيح مسلم.**

٧ ـ **جامع الترمذي.**

٨ ـ **سنن أبي داود.**

٩ ـ **سنن ابن ماجه.**

١٠ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١١ ـ **الزهد للإمام أحمد**: تحقيق: الشيخ يحيى الأزهري، طبع: دار ابن رجب.

١٢ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**: لمحمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي.

شروح الأحاديث:

١٣ ـ **فتح الباري لابن حجر العسقلاني**: المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، الناشر: دار السلام.

١٤ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، طباعة: دار إحياء التراث العربي.

١٥ - **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: للقرطبي دار النشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ومجموعة.

١٦ - **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**: للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طباعة: دار الكلم الطيب، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ومجموعة.

١٧ - **شرح صحيح البخاري**: لابن بطال، دار النشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

اللغة:

١٨ - **مقاييس اللغة لابن فارس**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طباعة: دار الفكر.

١٩ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**: تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، طباعة: المكتبة العلمية.

٢٠ - **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، طباعة: دار القلم، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢١ - **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**: للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، رقم: (٣٤٤٦).

٢٢ - **لسان العرب**: لابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

البلاغة والأدب:

٢٣ - **الصداقة والصديق**: لأبي حيان التوحيدي.

٢٤ - **روضة العقلاء ونزهةُ الفضلاء**: للإمام أبي حاتم ابن حبان، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، طباعة: المكتبة العصرية.

٢٥ - **عيون الأخبار**: لابن قتيبة، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٢٦ - **التذكرة الحمدونية**: لابن حمدون، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

٢٧ - **محاضرات الأدباء**: للراغب الأصفهاني، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

السير والتراجم:

٢٨ - **تهذيب سير أعلام النبلاء**: للدكتور محمد موسى الشريف، طبع: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع.
٢٩ - **تهذيب حلية الأولياء**: للشيخ صالح الشامي، طبع: دار القلم، الدار الشامية.
٣٠ - **صفة الصفوة**: لابن الجوزي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمٰن اللاذقي، والشيخ حياة شيحا اللاذقي، طبع: دار المعرفة.

الفتاوى:

٣١ - **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**: جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، دار الثريا.
٣٢ - **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **(المتوفى: ١٤٢٠هـ)**: أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
٣٣ - **فتاوى إسلامية**: جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند.
٣٤ - **مجموع الفتاوى**: لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة.
٣٥ - **فتاوى نور على الدرب**: للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

كتب أخرى:

٣٦ - **موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا**: طبع: المكتبة العصرية، بيروت.
٣٧ - **صلة الأرحام، مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة**: تأليف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
٣٨ - **المشكلات الأسرية وعلاجها من خلال جُهود مكاتب الإصلاح بوزارة العدل**: للدكتور: علي بن عبد الله البدر.
٣٩ - **حقوق الصديق وكيف تتعامل معه**: تأليف: أحمد بن ناصر الطيار (لم يُطبع).
٤٠ - **إرشاد الساجد بأسباب الخلاف والتقاطع في المساجد**: تأليف: أحمد بن ناصر الطيار، طباعة: دار الحجاز.
٤١ - **كَيْفَ تُرَبِّيْ أَبْنَاءَكَ**: تأليف: أحمد بن ناصر الطيار، طباعة: دار الحجاز.

٤٢ ـ **تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الإسلام**: رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة بمكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.
٤٣ ـ **جريدة الاقتصادية**، عدد: ٧٦٢٢.
٤٤ ـ **جريدة اليوم**، عدد: ١٤٢٨٨.
٤٥ ـ **إقامة الدليل على إبطال التحليل**: لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٤٦ ـ **الكبائر**: لمحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت.
٤٧ ـ **تهذيب حلية الأولياء**: للشيخ صالح الشامي، طبع: دار القلم، الدار الشامية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* أهميَّةُ الألفةِ وصفاءِ النُّفوس بين أفراد الأسرة	٥
* معنى الأسرة لغةً واصْطلاحًا	٩
* معنى الرحم لغةً واصْطلاحًا، ومَنْ تجبُ صلتُهم	١١
* منزلةُ ومكانةُ ذَوي الْقُرْبى والرَّحِمِ	١٤
* نصيحة لمن هجر وقطع قريبه	١٧
* أسبابُ المشاكل والخلافات وعلاجُها :	٢٢
١ ـ البعدُ عن الإسلام وتعاليمِه القويمة	٢٣
٢ ـ عقوقُ الوالدين	٢٦
٣ ـ ظُلْم وبغيُ الوالدين أو أحدِهما	٣١
٤ ـ انْحيازُ الأم أو الأب إلى أحدِ الأطراف	٣٨
٥ ـ البخلُ والتقتير وخاصَّةً من الآباء	٤٠
٦ ـ الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية	٤٥
٧ ـ الْمُخدِّراتُ والْمُسكرات	٤٧
٨ ـ عدمُ العدل بين الزوجات، وظلمُ الجارةِ جارتَهَا	٤٩
٩ ـ عدمُ التعامل الصحيح مع التركة والهبة	٥١
١٠ ـ تَدَخُّلُ الآباء والأمهات في خِلافات الأبناء	٥٦
١١ ـ تدخُّلُ الرجال في خلافات النساء	٥٨
١٢ ـ أهلُ النَّميمةِ، والاستماع لهم وتصديقهم	٦٠
١٣ ـ القيل والقال، ونقلُ الشائعات، وكشفُ الأسرار	٦٤
١٤ ـ سوءُ الظنّ، وعدمُ الْتماسِ الأعذار	٦٧

الموضوع | الصفحة

* علاج سوء الظن: ٧٠
١٥ ـ تضخيمُ المشكلة وإعطاؤها أكبرَ من حجمها ٧١
١٦ ـ التَّدَخُّلُ في حياةِ وشؤون الآخرين ٧٤
١٧ ـ سَكَنُ الابن مع والِدَيه وإخوانه إذا تزوج ٧٦
١٨ ـ الْمُشاركة في تجارةٍ، دون وضعِ خُطةٍ واضحة ٨٠
١٩ ـ الإفراط في المزاح ٨١
٢٠ ـ سُوءُ الخلق، وحدَّةُ الطبع والْمُعامَلة ٨٤
٢١ ـ عدمُ المقابلةِ بين الطرفين الْمُتخاصمين ٩١
٢٢ ـ عدمُ صبر من أُوذي، وعدوانُه على ظالِمه ٩٣
٢٣ ـ عدم الأخذ بالمنهج الصحيح في الحوار ٩٦
٢٤ ـ قلَّةُ الاحترام والأدب ٩٩
٢٥ ـ التكلم بالكلام الفَظِّ الغَليظ ١٠١
٢٦ ـ العجَلَةُ في الردّ واتخاذِ القرار ١٠٥
٢٧ ـ عدمُ الإصلاحِ والسعيِ في تأليفِ القلوب ١٠٧
٢٨ ـ عدمُ اعتذارِ الْمُخطئ وأنَفَتُه من ذلك ١٠٩
٢٩ ـ جهلُ القريبِ ما يُحبُّ ويَكره قريبه من الطِّباَع ١١١
٣٠ ـ عدمُ اسْتخدام خُلُقِ الْمُداراةِ بضوابطها ١١٢
* الخاتمة ١١٤
* المراجع ١١٥
* الفهرس ١١٩